

منشورات ضفاف
DIFAF PUBLISHING

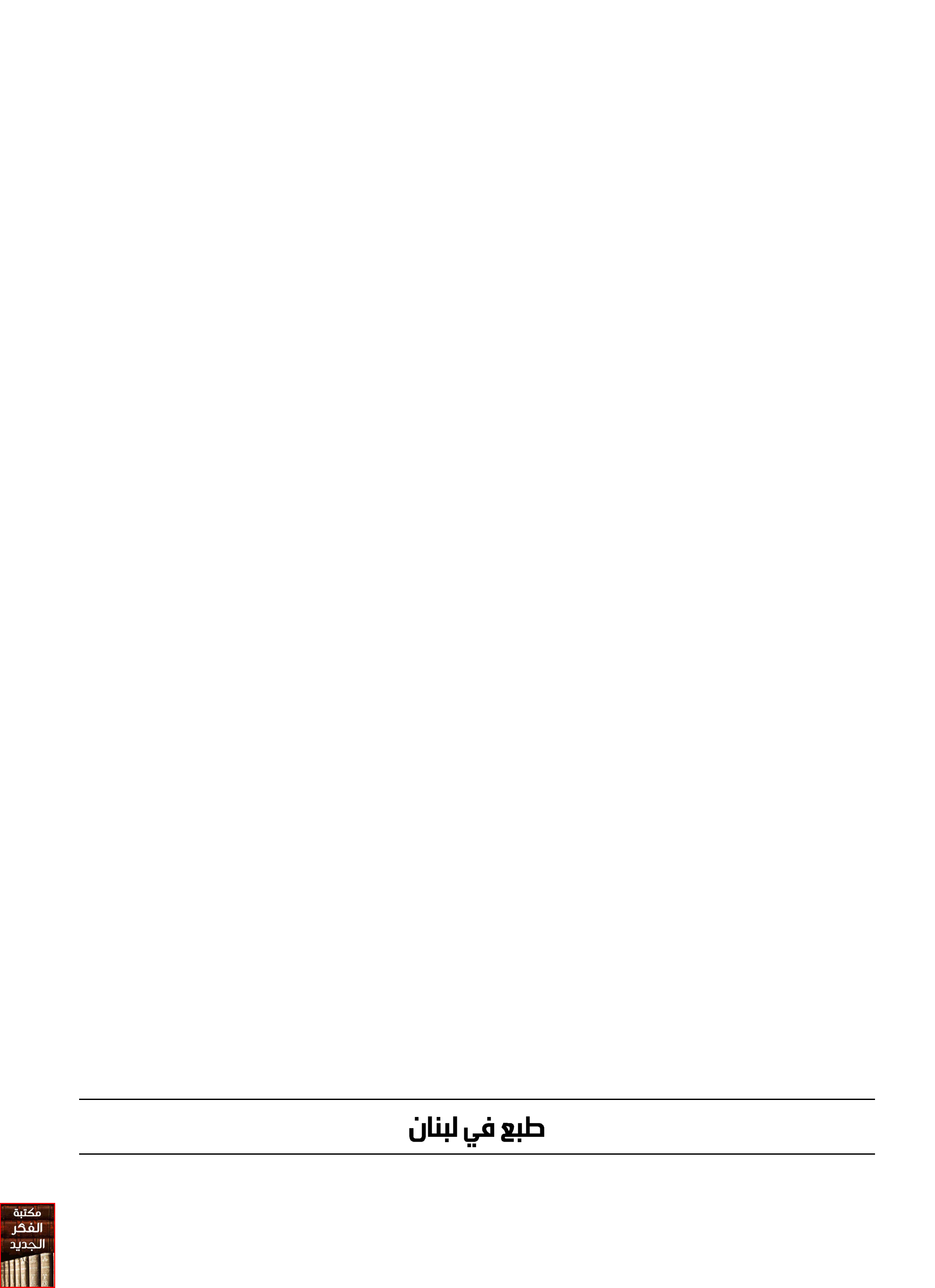
سعد سعيد

هَسيس اليمام

رواية


مكتبة
الفكر
الجديد

هَسيس اليمام



طبع في لبنان



رواية

سعد سعيد

منشورات ضفاف
DIFAF PUBLISHING



الطبعة الأولى

1436 هـ - 2015 م

ردمك 978-614-02-1295-4

منشورات ضفاف
DIFAF PUBLISHING
هاتف بيروت: +9613223227
editions.difaf@gmail.com



الإهداء:

إلى المرأة حصراً..

لأنها النصف الأحلى من الإنسان.





أيُّها الحمقى..

تلومون الخراف التي

ضلّت.. وتنسون الراعي!


مكتبة
الفكر
الجديد

موتي يا موتي العزيز.. أهكذا يجب أن أبـــدأ حملـــة بـــوحي هذه؟!.. هكذا، كما يفعل الغربيون بالضـــبط حـــين يخـــاطبون مذكراهم بأيتها العزيزة.. حقاً أنا لا أعرف إن كانوا يفعلون ذلك بالفعل لأنني لم أعاشرهم، ولكن هذا ما يفعلونه في الأفلام.. موتي يا موتي العزيز!.. يروق لي ذلك، وسأتعود عليه بالتأكيـــد وأنـــا أكتب مذكراتي هذه.

المذكرات، يا لهذا الاختراع الغريب!.. ألا تعني المـــذكرات الكتابة، فلِمَ يكتب المرء إن لم يكن هناك قـــارئ. والأغـــرب أن الجميع يدّعي أنه يخشى على مذكراته من أعين القراء!.. أي فعـــل غريب هو هذا؟ ولكن هذا ما يفعلونه.. أو يدّعونـــه في الأقـــل، فيكتبون للاأحد وفي أعماقهم يتمنون قارئاً.. اقرأني وأنا لا أعرف أرجوك!.. ولكني يا موت سأكتب لك.. سأتجاوز جميـــع البشـــر وأكتب لك لأني اشعر بك كصديق أمين.. صديق سأجده ينتظرني حتما يوم اللقاء.. أنت صديقي ولذلك سأكتب لك.. أنا لا أخفي عليك، كان بودّي أن أكتب لبشر.. أن أتخفف عن أحمـــالي هـــذه بالبوح بها لبشر يفهمني ولا يحكم عليّ.. ولكن بشرنا لا يمكنـــهم إلآ أن يحكموا.. لا يمكنهم أن يستسيغوا ما سأكتب.. ما ســـأبوح به وما سأقول.. بل لعله سيخيفهم.. يرعبهم.. بل سيكون بمثابـــة الحكم بالاعدام على صورتي في وجداهم.. لا، مستحيل أن أفعـــل ذلك.. بل سأكتب لك وحدك.

موتي، يا موتي العزيز، أنا لا أخطط للقائك قريباً، إذ مـــا زال الطمع بمتع الحياة يتملكني، ولكني سأكتب هذه الأوراق وأحفظها لك.. لا أعرف كيف، ولكني سأتدبر أمري لأجعلها تدفن معي من دون أن يطلع عليها أحد، وهكذا يكتمل اللقاء.. لقاؤنا أنا وأنت ومعي صحيفة أعمالي.. لا يبدو الأمر منطقيا، ألـــيس كـــذلك؟.. أعرف، ولكن ما همّني إن رؤوا أوراقي بعدما أرحل؟.. لن يهمّـــني طبعا، بل لعله سيكون مفيدا أن يطلعوا عليها فنحن نحتاج أحيانـــاً إلى ضربات قوية على رؤوسنا لنصحوا.. المهم هـــو فقـــط أن لا يطلعوا عليها وأنا في قيد الحياة.

أنا أعرف يا موت بأنني سأكون بأمان وراحـــة معـــك بعـــدما تعذبت كثيراً في هذه الحياة، ولكن السؤال الذي يقلقني هـــو، هـــل كان عذابـــي ظلماً.. أم أني أستحقه.. أنا لا أعرف، ولذلك سأبوح لك، لعلي خلال البوح أكتشف الأشياء من جديد، فمثل هذا يحدث أحيانا.. آه، لم يجب على الناس من حولي أن يكونوا بهذه الســـماجة، فأخاف البوح لهم.. أنا أحتاج يا موتي إلى عقل أحاوره، ولكني أشعر بهم بلا عقل.. والأهم، بلا روح.. كنت لأبوح لهم بكل شيء، أبوح ولا أخشى لوما أو إدانة، أنا أريد التحرر من هذه المشاعر ولـــذلك أريد البوح وأنا استطيع أن أكون صـــادقة وصـــريحة، عكســـهم.. ولكنهم لن يفهموني ولذلك لا أجرؤ.. أنا أحتـــاج للإعتـــراف ولا أستطيع وهذا يعذبني وكأن عذابـــي الآخر لا يكفيني، عذاب روحي الذي أصلاني ناراً ما زالت آثارها تكوي نفسي.

موتي يا موتي، من أين أبدأ.. أأقول لك أن اسمـــي (هـــديل)، ولكنك تعرف بالتأكيد، فمن أين أبدأ.. أنا لا أعـــرف، ولكـــنني

مصممة على البوح.. وسأبوح.. فقط لو أعرف من أيــن أبــدأ، فالأفكار تنهمر عليّ في هذه اللحظات كالطوفان ولا أكاد أتــبين منها شيئا رغم غزارتها.. اعدك بأنني سأنظمها وأنتقي منها تباعا ما أقوله لك حتى أشرح لك كل شيء.. كل شيء يا موتي.. يا كاتم أسراري.. يا صديقي الذي لن يخذلني يوم اللقاء.



شعرت بوحدة رغم الزحام من حولها، فأبعدت أنظارها عن البضائع وراحت تتطلع في وجوه الآخرين، وعندها رأتها.. قالت لنفسها:

- أيمكن أن تكون هي.. هديل؟!

عرفتها رغم السنوات، فقد بدت لها وكأنها هي، بسمرتها الحلوة وشعرها القصير ووجهها ساحر الابتسامة حين لا تكون منزعجة.. فكرت بأنها تبدو أكثر سمنة، فقالت لنفسها متهكمة:

- ومن الذي لم يسمن يا قطر الندى؟!

لم تستطع أن تخمن ردود فعل الأخرى حينما تراها، لأنها لم تلتفت إليها أساساً.. لتجعل الأمر يبدو وكأنه مجرد مصادفة حين تصبح وجها لوجه معها، ناورت من بين الأشخاص المشغولين بالبضاعة المعروضة أمامهم في (المول) الذي دخلته لتزجي بعض الوقت قبل أن يحين موعد اللقاء.. صاحت تلك بصوت بدا فيه استفسار، بقدر ما فيه من شعور بمفاجأة، حين تمعنت لثوان في وجهها:

- عذراء!.. معقولة؟!

همست وهي تحتضن صديقتها:

- حبيبتي هديل.

تعانقتا بكل حرارة السنين التي مرت منذ أن إلتقتا لآخر مرة، وسرعان ما انخرطتا في ترديد العبارات التقليدية المعتادة، إلى أن قالت هديل:

- يا لله يا عذراء، ما زلتِ جميلة جداً.

قالت ذلك وهي تتطلع في وجهها باعجاب واضح، قبل أن تضيف:

- بل أنتِ الآن أجمل بكثير.

وهي تحاول أن ترد الإطراء، تداعت ذاكرتها إلى يوم زواجها الذي شعرت به وكأنه حدث في زمن سحيق.. كانت هديل موجودة يومها.. تذكرت كيف أصرت على اخبارها كم هي جميلة كعروس كلما إلتقتا.. كان عرسا رسم له أن يكون متميزاً.. وكان.. ولكن!.

تسللت بسمة حزينة إلى شفتيها من دون أن تشعر، بدا وكأن هديل قد لاحظتها فوراً، فقالت:

- ما بك يا عذراء.. لا يبدو أنك سعيدة.

فردت هي كمن يدفع تهمة عن نفسه:

- لا، بالعكس.. أنا بخير.

لم يبد على هديل أنها قد سمعتها، بل قالت فوراً:

- ولكن أين اختفيتِ؟!

بدا على وجهها بعد أن قالت هذا وكأنها تحاول أن تتذكر شيئا، قبل أن تضيف من دون أن تعطي مجالا لرد:

- بالفعل عذراء، لقد اختفيتِ فجأة.. أين كنتِ؟!

تشظت صور العرس الجميلة في ذاكرتها، لتحل محلها وجوه قبيحة، ذاكرة أنفاس كريهة، شوارب مستفزة وعيون خالطت الشهوة الواضحة فيها، توسلات ورجاءات.. قالت:

- القصة طويلة.

كانتا تكافحان لسماع بعضهما وهما واقفتان في مجرى البشر المستمر من حولهما.. قالت هديل:

- هيا إلى الطابق الأعلى.. إلى الكافتيريا لنتحدث قليلاً.

قدّرت هي أن الوقت المتبقي لها لن يتيح لهما أن تتمتعا بالحديث.. قالت:

- أنا مرتبطة بموعد الآن.. نلتقي في وقت آخر.
- أكيد؟
- طبعا.
- هات رقمك

تبادلتا أرقام هواتفهما وهما تتفقان على اللقاء في أقرب وقت ممكن.. ثم انغمرتا في المزيد من العبارات المعتادة، وغير المعتادة ايضا، وهما تحاولان استعادة طريقتهما المميزة في الحديث الذي ميز علاقتهما القديمة.. قالت هديل فجأة:

- ولكن أين كنت طوال الوقت الذي مضى؟

هاجمت صور الأزقة القذرة، الوجوه الكالحة، النظرات الوقحة والطمع الواضح.. صور المطارات والسفارات والشقق الضيقة والفنادق الرخيصة، ذاكرها.. أدوار الانتظار الطويلة والوقوف تحت رحمة الشمس التي لا ترحم أو قسوة البرد، وجوه شتى وأصوات غريبة.. جاهدت لتبعد تلك الصور عن خيالها وقالت:

- أعيش في أمريكا الآن.

فتساءلت هديل على الفور:

- ودريد.. زوجك؟

ابتسمت هي وقالت:

- أنا بخير.

فضحكت هديل وقالت:

- مرحبا عذراء!.. انسيت مع من تتحدثين؟

فضحكت هي الأخرى وقالت:

- لا، طبعا أعرف.. وكيف أنسى صديقتي (اللزگة)

- إذاً؟

- إذاً سأحدثك عن كل شيء حين نلتقي، فشـــرح ذلـــك يطول.

قالت هديل وهي تبتسم لها:

- آسفة عذراء، ولكني يجب أن أعرف كل شـــيء.. أنـــت تعرفينني.

فابتسمت لها وهي تقول:

- لا تقولي آسفة، يسرني أن أحدثك عن كل شيء.

فتهلل وجه هديل وقالت:

- ما زلتِ كما أنتِ.. رائعة.

أرادت أن تتاكد صديقتها كما تعودت في الماضي، ولكن نظرة لاارادية منها إلى ساعة يدها جعلتها تكتشف أن الوقت قد مرّ سريعا من دون أن تشعر.. صاحت:

- آسفة حبيبتي ولكني يجب أن أذهب الآن.

قالت هديل وهي تقبلها على عجل:

- حسناً، انتظري إتصالاً مني.

أومأت هي برأسها موافقة، ثم ابتعدت مسرعة.



اليوم حلمت بجدتي لأمي، وقالت لي "بس لا يطلع حظچ ويه وسيم مثل حظ حمده!".. جدتي امرأة لم تستطع أن تنقطع عن جذورها الريفية رغم أنها عاشت معظم حياتها في المدينة.. كنت أحبها رغم أنها لم يكن مرحبا بها في بيتنا، بسبب أبي الذي كان يقول عنها دائماً "أنها مثال صارخ للجهل والتخلف".. ولكنها كانت تأتي رغم ذلك، وكنا نزورها في بيتها المتهالك أيضاً.. كنت أحب القصص التي تقصها لي منذ طفولتي بلهجتها المتميزة وأسلوبها الخاص.. أتعرف يا موت، أنا على يقين من أنها لو نالت نصيبا من التعليم لأصبحت قاصة متميزة، ولكن أي تعليم وقد تزوجت وعمرها خمسة عشر عاما كما تقول أمي، أو ثلاثة عشر عاما كما كانت تقول هي.

أنت تعرف يا موت أنني كنت أحب أبي كثيراً، ولكنني كنت ارى تجنياً كبيراً في موقفه من جدتي، فهي كانت تعبر عن حكمة في أحيان كثيرة رغم أميتها، ولكنه لم يكن يطيق وجودها!.. المهم هو أنها ألهبت خيالات طفولتي بأقاصيصها الحلوة ولذلك خلدت في وجداني، وكان (عرس حمده) مثالها الخالد في خيبات الأمل، تذكره كلما أوجست خيفة من أمر غير مضمون فتقول "بس لا يطلع مثل (عرس حمده)".. عرس حمدة الذي ضرب المثل به عندما دعي إليه فقررت الجموع أن تحضره لأنها اعتبرته النهاية السعيدة لقصة حب طالت.. كانت (حمده) فتاة جميلة في قرية

جدتي، أحبها (ورد) وهو شاب من قرية أخرى قريبة، فأحبتـــه.. لم يعرف أحد كيف إلتقيا، أو أين رآها، أبداً، ولكنهما أحبا بعضهما باخلاص.. وعناد.. ولكن سوء الحظ لازم محاولات ورد لخطبتها، فقد رفضه أهلها باصرار لأنهم خشوا الفضيحة إن هـــم أكـــدوا الشائعات التي تحدثت عنهما. مرت السنوات وهو لا يفكر بغيرها وهي لا ترتضي بالزواج من أحد تقدم لها رغـــم عنـــت الأهـــل وقسوتهم، حتى أسقط في أيديهم بالنهاية وقبلـــوا بـــورد المثـــابر المخلص، عريساً لابنتهم العاشقة.. كانت قصتهم قد انتشـــرت في تلك المناطق على مر السنوات، ولذلك أصبح عرسهما حدثاً كبيراً إذ توافد الضيوف من كل حدب وصوب على قرية ورد وشاركوه فرحته بكل حماسة فلعلع الرصاص كثيرا كمـــا هـــي عـــادتهم في أعراسهم، فظنوه العرس الأروع الذي حدث في تلك المنطقة، بل أخذ الحماس ببعضهم الى درجة أنه إدعى أن ذلك العـــرس أروع حتى من أعراس المدن القريبة، وعلى ذمة جدتي فإنها تؤكد ذلـــك، لولا نهايته.

لا حظ يا موت أنني أحاول أن أقص عليك ما حدث بالضبط بنفس أسلوب جدتي التي قصت علي تلك القصة مرارا وتكـــرارا، ولم أملّ من سماعها يوماً.

من أطلق تلك الرصاصة؟.. لا أحد يعرف.. هل كـــان هـــو المقصود، أم أنها اصابته مصادفة؟.. أيضا لا أحد يعـــرف، ولكـــن رصاصة أصابت ورد في ليلة عرسه، فقتلته.. أقصد قتلته معنويـــا لأنها قتلت حيوانه الصغير ولم تقتله هو.. حين كنت أصغر ســـنا، كنت افرح حين أعرف انها قتلت حيوانه ولم تقتله، فما قيمة قـــط

أو كلب بالنسبة إلى حياة إنسان؟، ولكنني حين بلغت، فهمـــت.. طبعا نقل ورد إلى مستشفى البلدة، فلازمته حمدة، وحين غادرهـــا، عادت معه إلى بيتهم ورفضت كل محاولات أهلـــها لإعادتهـــا إلى بيتهم على أساس أن الزواج لم يـــتم، ولكنـــهم لم يســـتطيعوا أن يجبروها لأنها كانت قد أصبحت زوجته شرعا.

قضت حياتها معه كما تفعل كل نساء تلك القرى.. تعمـــل منذ الصباح الباكر في الحقول مع بقية نســـاء العائلـــة، ثم تعـــود للإهتمام بزوجها المستجير بظل الجدران في الصيف التي هي درعه ضد برد الرياح في الشتاء، حتى يجنّ الليل، فيأويـــان ســـوية إلى مخدعهما، فقد عرف الجميع أنهم أنقذوا رجولة ورد في المستشـــفى الذي عولج بها!.. لم يرزقا بولد، ولم يسمع أحد حمدة تشكو مـــن شيء، وهكذا انقضت حياتهما المشتركة حتى مات ورد.

توقع الجميع أن تنهار حمدة بموت زوجها الذي تعشق، وهرع أهلها خشية على ابنتهم ليحيطوا بها في مصابها.. النســـاء معهـــا والرجال قريبون تحسبا لحالات الطوارئ، ولكن حمدة بقيت جالسة كالتمثال طوال أيام العزاء بين النساء، تتطلع في فراغ.. لم تذرف ولو دمعة واحدة، فزادت خشية الآخرين عليها لأنهم ظنوها تعاني من صدمة، ولكن النسوة أصبن بدهشة تقترب من الرعب حـــين فاجأتهم في اليوم الثالث باغراقها بالضحك الصاخب عندما سألوها عن خططها للـــ (عدّه).. صاحت مستهزئة بهم (چا آني مريمانه؟!) فزدن من عيار (اللطم) لأنهن أيقنّ من أن الحزن قد أذهب عقلها، ولكنها بدأت تبتسم وتتبادل مع القريبات منها الأحاديـــث.. وفي نهاية اليوم، أعلنت أنها راجعة مع أهلها إلى بيتهم!.

حينما عادت إلى بيت أهلها، أطلقت العنان لنفسها، فأخبرت النساء ما حصل لها، وكيف أن ورد رجع من المستشفى مجروحـــا، مهزوما ومكلوما.. أنقذوا حياته هناك، ولكنهم اقتلعوا ما تبقى من صنم رجولته بعد الحادث، وحوروا له مسالكه ليتمكن فقط مـــن إفراغ اليوريا التي يجب على جسده أن يتخلص منـــها ليعـــيش.. قالت لهم أن شخصيته تغيرت بسبب ذلك.. أو لعلها بانت علـــى حقيقتها، أصبحت رجولته هاجسه، وعاش المتبقي من حياته خائفا من فضيحة أن يكتشف الآخرون فقدانه لها، فكان أول ما فعله هو أنه افتضها باصبعه ذات ليلة كتم فيها عجزه على أنفاسه، وهددها بأنها إن تركته عائدة إلى بيت أهلها فإنه سيدّعي بأنه وجدها فاقدة للبكارة بعد أن أبلّ من اصابته، وحاول أن يمارس معهـــا حقوقـــه الزوجية، رغم أنها لم تفكر قبل ذلك بأن تتركه أبداً!.

في البداية كنت أستغرب من غباء حمدة، فقد كان بامكانها أن تخبر أهلها بالحقيقة، ولكن حكمة جدتي كانت تردعني حين تقول لي:

– (ولچ غمّه ليش أكو حرمه تگدر توگف بوجه زلمه!)

أعترض، فتزجرني بـــ (انچبـــي) صارمة!

آه يا موت، لِمَ خُلِقْتُ امرأة؟!



عواد الهاني

اشكركي لقبول دعوت الصداقه عل فيسبوك

هله بيك

تشرفنا

انا عواد الهاني

تاجر

اهلا وسهلا

شكد عمرك

37

وانتي

ههههههههههههههههه

ما يصير تسال ابنيه عن عمرها

ها

العفو

صحيح

شنو تشتغلين

مدرسه

شنو مخلصه جماره

كليه التنكلوجيه

يعني انتي مدرسه مال تنك

~~ههههههههههههههههههه~~

انت لطيف

اشكرج

انته شمخلص

مخلص جكاير

~~هههههههههههه~~

لا صدك

اني عندي ماجستير

بشنو

بالتجاره

حلو

ببيش تاجر

بكلشي

فلوس اكو والحمدالله

كلشي بـــي ربح اتاجر

يعني عندك فلوس هوايه

خير من الله

تتزوجني

هههههههههه

جماره اني تاجر

غير اشوف اول

شنو تشوف

البضاعه

ها اشتغلت

انتي الي بديتي

هم صدك

لا صدك جماره

انتي جماره

اي والله هاذا اسمي

لا قصدت انتي جماره

هاااااااااااا

علضوك

امووووووووووووووت على الضوك

شوكت

هاي شنو انت شكد طماع

اموت عل جمار

بس هو غالي

ما يغله علي شي

زين عيني اني اترخص

وين

بعد وكت

لا عندي شغل

زين نتحاجه بعد

؟

أكيد

موتي يا موتي العزيز، أنا لا أعرف لِمَ يخشاك الناس أيها الرحيم بدلا من أن يخشوا الحياة نفسها.. أنا اشعر بأن التعامل معك أسهل من التعامل مع هذه الحياة غريبة المزاج التي لم تكن يوما واضحة معنا، ولا مفهومة.. تتداعى بي الذاكرة الآن فلا أرى أمامي إلا أغرب المفاجآت وأعجبها.. يا لتلك الصدف التي قادتني إلى أن أكون الآن ما أنا عليه!.. يقولون أن الانسان مخيّر، فأين هي الخيارات؟!.. أتعرف ما الذي يؤلمني أكثر من أي شيء آخر؟ هو صدفة أن أكون امرأة، الصدفة التي كانت بمثابة حكما بالأعدام في مجتمعنا هذا لأني لو فعلت نفس الأشياء التي فعلتها وأنا رجل لما كان هذا حالي.. بل لعلي كنت الآن في خير حال!.. فأي شأن غريب هي هذه الحياة!.. ما هذا الذي أفعله.. أنا أهذر في الوقت الذي يجب أن أركز فيه على ما يجب أن أبتدئ به محاولة بوحي هذه، ولكن لا ضير، فأنا سأتحدث لك عن كل شيء، وتقديم الأحداث وتأخيرها لن يضر في النهاية.

موتي.. آه يا موتي، لقد خطر ببالي للتو أن أبدأ بالحديث عن (وسيم).. وسيم حبيبي الذي قلب ظهوره حياتي رأساً على عقب.. طبعا أنت تعرف أنه ليس زوجي، فانا لم أحب زوجي أبداً.. قد أكون استلطفته أحيانا.. أحياناً قليلة، ولكنه سرعان ما يجعلني أندم ولذلك لم يتح لي الفرصة لأن أحبه أبداً، ولكن ليذهب هو إلى الجحيم الآن، فأنا أريد أن أحدثك عن وسيم، تعويض الأقدار لي

وخلاصي من المصير الأسود الذي كنت أنــزلق إليــه.. وســيم، الرجل الأرق الذي التقيت به يومــاً.. الرجــل الأكثــر فحولــة، والأجمل.. آه لو رأيته كما رأيته أنا في أول مــرة أتــاني فيهــا إلى الصيدلية.. لقد حبست رؤيته أنفاسي وأذهلتني فوراً.. اقسم لــك بأني صادقة فليس هنا غيري أنا، وأنت، فَلِمَ الكذب؟.. لقد امتلك علي مشاعري حال رؤيته.. نعم، أنا لا أنكر أن أناقتــه ومظهــره الجذاب بوسامته التي يزيدها تأثيرا شعره الأبيض المصفف بعناية هي الأسباب التي جعلتني أهتم به بذلك القدر، فلطالما أثــرت بــــي مظاهر الرجال وهي مهمة في النهاية، رغم أن المظــاهر يمكــن أن تكون خداعة، ولكني لم آبه في حينها، بل ركزت نظــراتي عليــه، فانتبه هو إلى ذلك بالتأكيد، ولذلك ودعني بابتسامة حمّلها الكــثير من المعاني وهو يغادر بعد أن بعته ما أراد، فزادني بذلك انجذابا إليه.

حينما عاد مرة أخرى بعد أيام، شعرت بفــرح طــاغ حــال رؤيته، فاستقبلته بابتسامة فرح لم أشأ أن أخفيها.. نعم يا مــوت.. هكذا هي أنا.. أو ما أصبحته.. لم أشأ أن أخفي عنه فــرحتي بــه، فشجعه هذا على أن يلامس أصابعي متعمدا وهو يدفع لي حســاب ما اشتراه مني من أدوية، في المرة الثالثة التي أتى بهــا.. لامســني، فكدت أسقط أرضاً.. لامس اصابعي في مرة، وفي الأخرى اعطــاني ورقة قبل أن يخرج، وطلب مني أن أقرأها حينما أبقــى لوحــدي.. فدق قلبــي بعنف، وشعرت بالحيرة، لأنني لم أعرف كيف أتصرف في تلك اللحظة الحرجة.. لا لم يكن هذا سؤالاً لنفســي إن كنــت أرتضي به، بل فكرت بما قد يفكر به إن وافقت بسرعة.. هكذا نحن الشرقيات، نسأل أنفسنا دائما عن انطباعات الآخر، خاصة إن كان

رجلاً.. احترت قليلاً، أآخذها، أم أرفض.. تصور يا موت، أسأل نفسي هذا السؤال وأنا أعي جيدا أن الرفض لم يكن خياراً لحظتها، فأخذتها وقرأتها حالما وجدت نفسي وحيدة.. كان شعراً يا موت.. كتب لي قصيدة مليئة بكلمات الغزل، ويا لها من كلمات رائعة اخترقت وجداني فوراً، فأحببته.. آه يا موت، لقد أحكم لي فخه فوقعت، فاجأني بكونه شاعراً، وفاجأني باستخدامه للشعر ليقدم طلبه، فوقعت.. ويا له من وقوع لذيذ.. أتعرف يا موت؟.. نسبة غالبة منّا نحن النساء، لا يسقطهن غير عبارات الغزل.. نعم هناك الوسامة وهناك الجاه وهناك مظاهر الرجولة التي تؤثر فينا، ولكن لا يسقطنا شيء مثل عبارات الغزل، وذلك لأنها مَنْ تجعلنا نشعر بقيمتنا، وتشبع رغبتنا العارمة في أن نكون محبوبات.. أن نكون مركز اهتمام لمن يعجبنا من الرجال.. وهذا ما يحدث غالباً.

عندما أتى بعد ذلك، استقبلته كأية مراهقة تستقبل حبيباً لها، نسيت كل من حولي من زبائن، وتفرغت له.. لم آبه لهم، أو لما قد يقولونه عني لأني لم أعد أرى غيره، وحين خرج، كدت أتبعه لولا بقية من خجل.. ولكني لم أكن بحاجة إلى اتباعه لأنه أتى في اليوم التالي، والذي تلاه والذي تلاه، حتى اصبح مجيئه طقسا يومياً لا أطيق أن ينقطع يوماً، وكان يزداد جرأة في الكلام معي وذلك ما زادني ذوباناً في حبه وهو يطلق كل طاقاتي في الاشتهاء، وكم انزعجت من فكرة أنه يمكن أن يصبح أكثر جرأة في تصرفاته معي، لا في كلامه فقط، لولا الزبائن الذين لم يكونوا ينقطعون عن الصيدلية معظم الوقت.. لكم تمنيت لو استطعت طردهم جميعا لأنفرد به ويتصرف معي كما يشتهي!.

لم تبد هديل على حالتها الطبيعية لسلمى التي صارت تعرفها بعد كل تلك السنوات.. كانت غارقة في صمتها وقد تناوبتها الأفكار كما يبدو، فغاصت هي الأخرى في لجة من أفكارها العميقة.. تساءلت للمرة (المليار!) عن شكوكها بهذه الانسانة التي ارتبطت بها أيما ارتباط، ومرة أخرى لم تستطع أن تصل إلى نتيجة، ولذلك آثرت أن تنبذ تلك الأفكار المحبطة، فعادت إلى السطح.. استعادت حبها لها وأرادت أن تمازحها، فدندنت بصوت مسموع:

- (الك يومين دگاتك يا گلبي تزيد).

ابتسمت هديل برقة وأكملت:

- (بشرة خير، لو تنسى الحبيب تريد)

فعاجلتها سلمى قائلة:

- أخاف (واگع بحب جديد)

أطالت هديل النظر في وجهها فقالت هي:

- ها.. ماذا؟!

قالت هديل بصوت محايد:

- ما زلت تقرئينني ككتاب مفتوح.

فردت سلمى وهي تضمّن نبرات صوتها، المعاني:

- صديقتي وأعرفها جيدا.

قالت هديل وشبح ابتسامة يتراقص على شفتيها:

- ماذا تقصدين؟

ضحكت سلمى وقالت بصوت خفيض:

- أعرفها (گحبه).

فردت هديل على الفور وكأنها كانت تتوقع قولها:

- لقد تركنا الشرف لك.. دعيه يفيدك.

فكان ذلك ايذانا ببدء حملة تراشق متبادل، بالعبارات الثقيلة، دارت بينهما بعيدا عن اسماع الآخرين وهما تتضاحكان حتى فرض الهدوء (هدنته) عليهما، لتعود هديل إلى صمتها فيما التفتت سلمى إلى حيث انتبذت هيفاء مكانا بعيدا عنهما.. كان الوجوم باديا على وجهها هي الأخرى، فانتبهت إليها.. تذكرتها وهي بملابس المدرسة الزرقاء عندما تلقت أول قصاصة كتب عليها رقم هاتف.. تذكرت حيرتها وذهولها وهي تنظر إليها ولا تجرؤ على النظر في الورقة التي دسها الشاب في يدها، فرقّ قلب سلمى لها لأنها تعرف مدى ضعفها وعدم قدرتها على تجاوز ابسط الازمات لوحدها.. فكرت قليلا، ثم تحركت باتجاهها لتطلب منها أن تسير معها في حدائق النادي.. كما توقعت، نهضت فورا لتسير معها من دون اعتراض، فتأكدت أنها تعاني من ثقل أفكارها.

وهما تسيران معاً في ممرات النادي المزدحمة، ابتسمت سلمى لنفسها وهي تلاحظ النظرات القلقة للفتيات، والابتسمات الواثقة التي تقابلها من الشباب، فيما اصرت هيفاء على صمتها وتقوقعها على همومها الخاصة.. لم تشأ أن تسألها عما تعانيه قبل أن تستقرا في مكان، وعندما بلغتا (المرجوحة) في أقصى الحديقة التي وصلتا إليها، قالت هيفاء فجأة بعد أن ظهر عليها أنها كانت تفكر بشيء ما:

- لقد نسيت أن أخبرك.. قبل مدة قابلت سهاد.

ثم سكتت وهي تستطلع وجه سلمى الذي لم يظهر عليه شيء يدل على أنها فهمت، فقالت مكملة:

- تبادلنا أرقام الهواتف، وسألت عنك.

لم يجد اسم سهاد مكانا لنفسه في ذاكرتها، فقالت:

- سهاد.. من تكون سهاد؟!

قالت هيفاء وهي تحاول أن تجعلها تتذكر بالمزيد من حركات الأيدي الايضاحية:

- سهاد.. سهاد عبد الرحمن، الفتاة التي كانت معنا في الكلية.. السمراء، الطويلة.

السمراء الطويلة.. لم يخطر ببال سلمى أن هناك وصفا أكثر عمومية من هذا، ولكن الاسم الكامل جعل ذكرى مرعبة، وبطريقة ما، تقفز إلى ذاكرتها.. قالت:

- آه.. تلك الشاذة!

ضحكت هيفاء وهي تقول:

- حرام عليك يا سلمى.. كانت مجرد شائعات.

شعرت سلمى بغضب خفيف حين سمعت صديقتها تقول ذلك.. تجرؤ على أن تدافع عن تلك العاهرة الفاسقة أمامها!.. قالت:

- إشاعة يا مسكينة؟

بدا الاستغراب على وجه هيفاء وهي تتساءل:

- أتعرفين شيئا لا أعرفه يا سلمى؟!

كادت أن ترد فورا، لولا أنها تداركت نفسها.. حاصرتها الذكرى اللعينة فشعرت بضيق شديد.. قالت بخشونة ظاهرة:

- وما قد أعرفه؟!

قالت هيفاء على الفور:

- لا شيء، ولكنني لم أصدق يوما ما كان يقال عنها.

كانت سلمى إذّاك مشغولة الفكر بما بدأت ذاكرتها البعيدة تسترده.. هالها أن تتذكر أن ذلك قد حدث في التواليت.. تواليت الكلية فشعرت بقرف زاد غضبها، قالت بحدة:

- ألا تتخلصين من هذه العادة السيئة.. أن تشككي بكل ما لا يوافق هواك.

بان الارتباك على وجه هيفاء وهي تقول:

- آسفة عزيزتي، ولكني.

قاطعتها سلمى:

- كفى.

لاحظت ارتباكها.. فكرت، لم تعرف هيفاء أو اي مخلوق لأنها لم تخبر أحدا بالموضوع، شعرت بالشفقة على صديقتها.. قالت برقة هذه المرة:

- لا تهتمي هيفاء، ولكن هذا الموضوع يقرفني.. دعينا منه.

لم تعلق هيفاء بشيء، بل بقيت صامتة.. تمعنت سلمى في وجهها، لاحظت حيرتها، فرقّت لها أكثر، قالت بعد قليل من التفكير:

- قولي لي.. ما بك؟!

لم تجب هيفاء، فقالت سلمى:

- يبدو عليك التعب.

سكتت قليلا قبل أن تضيف:

- كثيرا.



تسللت إمارات الحزن لتتمازج مع الحـــيرة في وجـــه هيفـــاء، انتظرت سلمى أن تنطق بشيء، ولكنها لم تزد على أن تقول.

- صحيح.
- لماذا؟
- آه يا سلمى، اتركيني لحزني.
- ولِمَ أتركَكِ لحزنكِ.. ألست صديقتكِ؟

اخترقت ابتسامة ضئيلة حصار الحزن والحيرة على وجه هيفـــاء التي قالت على الفور:

- بل كنتِ خير صديقة طوال عمرك.
- فما الذي تغيّر الآن، لِمَ لا تبوحي لي بما يتعبكِ؟

قالت هيفاء بعد قليل من التفكير:

- لا أعرف ما أقول.
- ولكن لماذا؟!
- تبدو مشكلتي وكأنها بلا حل.
- جربيني.. لعلني أستطيع مساعدتك.

بان التردد واضحا على وجه هيفاء، ولكنها قالت أخيرا:

- إنه زوجي.
- ما به زوجك؟
- يرفض أن يمسني.

ابتسمت سلمى وقالت:

- ولم يرفض أن يمسك.. هل أصبت بمرض جلدي؟

ابتسمت هيفاء وهي تقول:

- هيا سلمى، أنت تعرفين ما أقصد.



- طبعا أعرف.

ثم سكتت سلمى لتفكر قليلا قبل أن تكمل:

- ولكن كيف لم تستطيعي أن تغريه، أنا أعرف قابلياتـــك، فهل بلغت من الكبر عتيا؟
- لم أدخر وسعاً، بل أكاد أنفق نصف راتبـــي على شـــراء الملابس الداخلية المثيرة التي كان يحبها، ولكنه يتصـــرف كتمثال.
- غريب، ما الذي حلّ به.. قد يكون مريضا.
- لا أعرف فهو يرفض أن يشرح لي.. هو فقط مصرّ علـــى تجاهلي.

سكتت قليلا وقد بان على وجهها أنها تتذكر شـــيئا مـــا، ثم قالت:

- أنتظر حتى يلجأ إلى الفراش.. بعد أن أكون قـــد فعلـــت المستحيل لألبـــي له كل مطالبه.. ألتحق به وأتعمـــد أن أنضو عني ملابسي أمامه، ثم أرتدي كل ما كان يلذ لـــه مرآه، ولكنه يدير وجهه إلى الناحية المعاكسة.. أندس في الفراش.. ألتصق به.. أحاول، ولكنـــه يـــردعني.. بـــل يزجرني.. أقول له ما حلّ بك ولكنه يرفض أن يجيبني.

قالت سلمى وقد اخترقها القلق على صديقتها بجدية:

- وكم مضى على ذلك؟!
- لا أعرف بالضبط.. أشهر.

قالت سلمى بحدة:

- ولكن هذا ليس من حقه.



فابتسمت هيفاء بحزن وقالت بصوت منكسر:

- قلت له ذلك، ولكنه لم يأبه لي، فقط قال لي، أغربـــــي عن وجهي.

قالت سلمى بعصبية واضحة:

- ولكن هذا مستحيل.

بانت المفاجأة على محيا هيفاء وقالت بحزن:

- أتتهمينني بالكذب؟

فردت سلمى على الفور:

- لا آسفة لم أقصد هذا.. أنا قصدته هـــو، مســـتحيل أن يكون هذا موقف رجل من زوجته.

لم تعلق هيفاء بشيء بل وقفت في مكانها وهي تنظر إلى بعيـــد وقد غلف البؤس محياها.. فكرت سلمى قليلا ثم قالت:

- وهل حدث هذا فجأة.

ردت هيفاء:

- تعرفين أنه بعمره يواجه بعض الاخفاقات أحيانا، ولكنه لم يعاملني بمثل هذا البرود أبداً.

احتدّ صوت سلمى وهي تتساءل باصرار:

- قلت لك، هل حدث ذلك فجأة.

فقالت هيفاء بصوت مهادن:

- تقريبا.

ثم اضافت بعد قليل:

- نعم.

قالت سلمى بتعاطف:

- يا مسكينة.. كم تعانين؟!

فقالت هيفاء بصوت يكاد يكون باكياً:

- كثيراً يا سلمى.. أنا أتهاوى.

وقعت كلمة (أتهاوى) بشدة على أذن سلمى، فقالت بحدة:

- تتهاوين.. كيف؟!

بدا على هيفاء وكأنها انتبهت من غفلة، فقالت فوراً:

- لا شيء.. اقصد.

ولكن سلمى قاطعتها، وقد بدأت أعصابها تثور، قائلة:

- هيا يا مجنونة، حدثيني عن كل شيء.. إياك أن تخفي.

أصرّت هيفاء على موقفها قائلة:

- قلت لك لا شيء.

ولكن سلمى الخبيرة بها كانت متأكدة من وجود شيء فلم ترحمها، بل قالت باصرار:

- بلا غباء هيفاء.. الأمر واضح.

فتحت هيفاء فاهاً لتعترض، ولكن تقطيبة سلمى ردعتها.. آثرت الصمت.. قالت بعد قليل:

- حسناً.. لا داعي للإنكار.

سكتت وهي تنظر بقلق إلى وجه سلمى الذي بقي جامداً وهي تنظر بثبات إليها.. أضافت بعد قليل:

- هناك واحد.

عندها صاحت سلمى:

- (صخام!) وما ستقولينه لأولادك.. لقد صاروا رجالا يفوقونك طولاً.

دافعت هيفاء عن نفسها قائلة:

- لا.. لا.. لم يحدث شيء.

ثم سكتت.. انتظرت سلمى أن تكمل ولكنها بقيت صامتة، فقالت:

- حدث أم لم يحدث.. ما هذا.. ألغاز؟!

فقالت هيفاء بصوت هو إلى الضراعة أقرب:

- أرجوك سلمى.. حسبك علي.

ثم صمتت منتظرة هجوم سلمى المقابل، ولكنها لم تقل شيئا، فقالت هي متابعة:

- هو شاب تعرفت عليه في الفيسبوك.

عندها ابتسمت سلمى وقالت:

- شاب يا عاهرة.. شاب؟!

فقالت هيفاء بجدية لم تعتد سلمى على سماعها منها:

- إن كان لا بد أن أفعلها، فلم لا يكون شاباً.. في الأقل ستسوّغ رجولته خطيئتي.

اتسعت ابتسامة سلمى وهي تقول:

- وأخيراً أصبح لك منطق.. ولكنه منطق عاهر مع الأسف.

لم تعلق هيفاء بشيء، فقالت سلمى مكملة:

- ثم أن الشباب لا يعني شيئا.. ما أدراك أنه فحل؟.. وإن لم يكن، فهل ستمارسان السحاق؟!

قالت هيفاء بلا وعي تقريبا:

- بل هو فحل.

- وما أدراك؟!

- هو أخبرني.

عندها شعرت سلمى بالغضب يجتاحها.. صاحت:

- هو قال؟!

لم تحر هيفاء جوابا هذه المرة، بل آثرت الصمت، فقالت سلمى متابعة:

- ما الذي تريدين ان تفعليه بنفسك يا مسكينة.. أتصورتِ أن الزنا أمر سهل.. هل سبق وأن جربتِهِ؟!

أجفلت هيفاء وقالت بحرارة:

- لا طبعاً.. أنت تعرفينني.

لم تشك سلمى ولو للحظة بصدق صاحبتها، ولكنها مع ذلك قالت بتهكم واضح لم تشأ أن تخفيه:

- ولكني لم أعد أعرفك.. أنت اليوم لست هيفاء التي أعرفها.

بدأت الدموع تنزل من عيني هيفاء، وراحت تبكي بصمت احترمته سلمى حتى قالت هيفاء بعد مضي وقت كاف لتتمكن من السيطرة على دموعها:

- ساعديني سلمى.. انا لا أعرف ما أفعل.

فقالت سلمى بثقة العارف:

- الأمر واضح هيفاء، الجئي إلى طاقتك الإيمانية، عودي إلى الله قبل أن تضيعي.

جادت عيني هيفاء بدورة دموع ثانية قبل أن تقول:

- ولكن الأوان قد فات.

فأجفلت سلمى وصاحت:

- ماذا تقصدين.. ألم تقولي أنه لم يحدث شـيئاً، فكيـف (فات)؟

حرصت هيفاء الباكية على أن لا تنظر في عيني سلمى، وقالت وهي تغالب دموعها:

- لقد تواعدنا.. سنلتقي بعد نحو ساعة.
- أين؟
- هنا في النادي.
- جيد جداً.. قابليه وانهي كل شيء.
- ولكني لا استطيع.
- لم لا تستطيعين؟
- هكذا.. فقط لا استطيع.

تمعنت سلمى في وجه هيفاء قليلا، ثم قالت بهدوء:

- ولكني أستطيع.

أجفلت هيفاء وقالت:

- ماذا تقصدين؟!
- ما سمعته.. سأقابله أنا وأخبره بأنك لا تريدين الاستمرار.
- ولكن!
- بلا ولكن، هذا ما يجب أن يكون.

ثم سكتت، قبل أن تضيف بعد قليل:

- يجب على واحدة منا أن تقوم بالمهمة.

لم ترد هيفاء هذه المرة، فراحت سلمى تمعن النظر في وجهها.. اكتشفت أنه لم يفقد جماله كلية، رقّ لها قلبها، ولكنها أبـت إلا أن تناكدها، فقالت:

- ولكن ما الذي رآه هذا الشاب فيك أيتها العجوز المتصابية؟

ابتسمت هيفاء من خلال دموعها التي كانت مستمرة بالانحدار، وقالت:

- هو لم يرني بعد.
- لم أفهم!
- هو لم يرَ وجهي بعد.

فقدت سلمى هدوءها وصاحت:

- أتريدين أن تجنيني.. ما هذا الهراء؟!

قالت هيفاء بصوت مستسلم:

- هذا ما حدث.

فكرت سلمى قليلا وقالت:

- أرجوك لا تقولي لي أنك لم تري وجهه ايضا.
- بل رأيته.. صوره تملأ صفحته.
- فهمت.. ولكن هل أراك ذلك الشيء أيضا؟

ابتسمت هيفاء رغم دموعها وقالت:

- من منا العاهرة الآن؟

فاشتركتا في ضحكة قصيرة قبل أن تقول سلمى:

- والآن، اتفقنا؟

قالت هيفاء التي فارقتها الضحكة سريعا:

- على ماذا؟
- أن أقابله وانهي كل شيء.

لم ترد هيفاء، بل زمّت شفتيها وحركت كتفيها بطريقة تشي

بأنها لا تعرف ما تقول.. قالت سلمى:

- عندما ترينه فقط دليني عليه من بعد.

تساءلت هيفاء:

- وماذا أفعل أنا؟

ابتسمت لها سلمى وقالت:

- لا أعرف.. يمكنك أن تذهبـــي إلى الجحيم.

أنا أشعر بأنني قد فعلت حسناً لأنني جلبت معي دفتـــري إلى النادي يا موت، فهأنذا لوحدي وأستطيع أن أخاطبك قليلا.

موتي يا موتي العزيز، لقد أصبحت شغلي الشاغل وأنا أفكـــر بك طوال اليوم وأتصور ما سأكتبه لك حالما أفتح دفتري.. ألتقط الأفكار وأحاورها لعلي أنتقي منها ما يصلح لأن أكتبـــه لـــك.. أقصد ما يشرح لك ما أردت قوله لك أكثر.. اليوم يا موت أريد أن أحدثك عن شخص لم يخطر لي ببال أنني يمكن أن أحدثك عنـــه رغم لهفتي للحديث عن كل ما يمر بـــي منذ أن تعودت الكتابـــة إليك.. لم أفكر أن أحدثك عنه، ولكنني سأفعل اليوم.. سأحدثك عن (حيّان)، حيّان الذي رأيته للمرة الأولى قبل أسابيع، بعـــد أن بدأت أخاطبك.. حين أتى إلى الصيدلية، صيدليتي، أتى بصـــحبة زوجي.. أقصد فحلي.. الفحل الذي اصطفته لي الأقدار.. لم أنتبه في حينها إليه رغم أنه ألقى عليّ بالتحية بأدب جمّ.. حيّاني فرددت عليه ببرود، بل لربما باحتقار حتى، كما تعـــودت مـــع أصـــدقاء (بلوتي) حين يأتون معه.. يومها، بقـــي واقفـــاً بعيـــداً وصـــاحبه يكلمني.. أو بالأحرى يزعجني بملاحظاته، كان ينظـــر إليّ طـــوال الوقت والابتسامة لا تفارق شفتيه.. بدا عليه أنه يفهم انـــزعاجي ويشعر به، الأمر الذي كاد يفقدني أعصابـــي فأصرخ به أن يكف ابتسامته الحقيرة عني.. تحملته على مضض حتى غـــادر، قبـــل أن يغادر زوجي بقليل فخمنت أنه سينتظره في الخارج.

في اليوم التالي زارني لوحده، وكذلك فعل في الأيام التاليـــة.. يدخل مبتسما، وعندما يراني مشغولة مع الزبائن يقـــف جانبـــا في الزاوية المقابلة البعيدة، بعد أن يلقي بالتحية، وينتظر حتى تفـــرغ الصيدلية من الزبائن يقترب ويسألني إن كنت بحاجة إلى شـــيء، أرفض عرضه وأنا أحاول أن أحمّل وجهي كل ما أســـتطيعه مـــن علامات الانـــزعاج، كان يبتسم ويودعني، ليعود في اليوم التالي.. لم يحد يوما عن أدبه الواضح ودماثته المثيرة لأعصابـــي حتى إنـــني بدأت أتساءل مع نفسي عن نوعية العلاقة التي تربطـــه بفحلـــي المضطرب المغرور، ولكن هذا لم يمنعني من أن أقرر طرده ذات يوم لمجرد أنه كان صديقا له.

في يوم تنفيذ قراري، أتى وسيم قبله، وحين دخل هـــو بصـــمته وهدوئه المعهودين، لم ينتبه وسيم لوجوده لأنه كان مشغولا بمغـــازلتي بطريقته المفضوحة التي بدأ يلجأ إليها مؤخرا، والتي كانـــت تـــثيرني جدا! أتعرف يا صديقي أنه أجبرني على أن أتلفظ بكل مـــا لم أتعـــود عليه من كلمات ماجنة عندما كان يحدثني هاتفيا.. في البداية، تمنعـــت ورفضت، ولكني رضخت وراقني الأمر في النهاية.. وقف بعيدا وهو يراقبنا، فخطرت لي الفكرة التي ظننت أنها ستجعله يذهب بلا عودة، أردت أن يراني سعيدة بتلك الكلمات المنهالـــة مـــن وســـيم وأنـــا أضحك.. لم تكن فكرة سديدة، نعم أنا أعرف، ولكنني استحســـنتها كثيرا في حينها، أردته أن يعرف ما يدور بيني وبين وسيم، وليفعل ما يشاء.. يذهب إلى زوجي ليخبره؟.. لم يكن يهمني ذلك لأن قـــراري كان متخذاً، أنا أريد وسيماً، أريده بأي ثمـــن، وإن أراد أن يتخـــذني عشيقة له فأنا له، تبا للزواج.. تبا للأولاد.. تبا لكل شيء، فقد حان

وقت أن أهتم بنفسي فقط بعدما أعطيت كل ما أستطيع حتى ظلمت نفسي وحرمتها من حقوقها.. هكذا كنت أفكر في تلك اللحظات وكنت على يقين من أنني بدأت أخيراً أفكر بطريقة صحيحة.. بقى ساكتاً في مكانه ووسيم يمعن في اطلاق همساته الماجنة وهو غافل عن وجوده الذي لم اشأ أن أنبهه إليه، ولكنه حين طلب مني فجأة أن أمد يدي لألامسه، أجفلت ونظرت بلا وعي إليه، ولكن لم يبد على وجهه أي انفعال وكانه لم يسمع رغم أني كنت على يقين من أنه قد سمع كل شيء.. زجرت وسيم بنظرة غضب فضحك وقال إني لامسة إياه في النهاية، لا محالة، طلبت منه أن يكف ونهضت لآتيه بالأدوية التي طلبها، فاستلمها وذهب في الحال بعد أن رفضت أن أعطيه (البوسة) التي طلبها.

حين اقترب هو مني، نظرت إليه بتحدٍ وقلت من دون مقدمات:

– نعم هو الأمر كما رأيت، ولن يهمني ما ستفعل.

طافت ابتسامة رائقة على شفتيه وهو يقول:

– وما سأفعل؟.. هو شأنك ولا علاقة لي بالأمر.

عندها أيقنت أنه قد اقترف الذنب الذي يستحق الطرد من أجله، فقد كان ينافق بطريقة مكشوفة.. قلت:

– لا تنافق.. أنا أعرف أنك ستهرع إلى صاحبك الدنيء لتخبره بما رأيت.

بان الاستغراب في نظرته وهو يتساءل:

– ومن هو صاحبي الدنيء هذا.

فأجبت بلا تردد:

- زوجي (الشفيّة) طبعا.. بعلي.. بعلولتي.

فقال بهدوء شكّل ضغطا هائلا على أعصابـــي المتحفزة:

- أها.. لا لن أخبره بشيء.

ثم سكت.. تمعنت في وجهه الذي لم تفارقه ابتسامته المستفزة فصحت:

- هل أنت منافق هكذا دائما؟

اتسعت ابتسامته وهو يقول:

- ولِمَ هذا الاتهام.. أنا لم أقترف خطأ ولا حاجة بـــــي إلى مداراة شيء.. أنتِ تسألين وأنا أجيب.

فقلت وفيضان غضبـــي يأبى أن يتوقف:

- ولكني على يقين أنك ستقول الكثير لذلك التافه.

أصرت ابتسامته على الالتصاق بشفتيه وهو يقول:

- ولِمَ قد أقول له؟

- لأنه صديقك.

- ولكني صديق الجميع فهل سأخبرهم جميعا بما أعرفه عـــن زوجاهم؟.

فصحت وأنا أفترض مع نفسي أنه قد أوصـــلني إلى حيـــث استطيع أن أنفذ قراري المبيت:

- أتريد أن تستهزئ بـــي يا أستاذ؟!

ولكن ابتسامته الرائقة أعجزتني عن النطق بحكم الطرد.. قال بهدوء:

- عفواً يا سيدتي، ولكن ما تفعلينـــه شـــأنك الخـــاص ولا مخططات عندي للتدخل.. لك مطلق الحرية في فعل مـــا

تريدين.

كان الصدق ينساب مع كلماته بشكل واضــــح.. شـــعرت بالحيرة.. همست:

- ولكن..

ولكنه قاطعني قائلا:

- بلا ولكن، أنا لم أتعود الكذب وما أقوله هو الحقيقـــة.. لك أن تفعلي ما تشائين لأنك الوحيدة الـــتي ســـتدفع الثمن، ولكني مشفق عليك مما أنت مقبلة عليه.

شعرت أنه قد عاد إلى إثارة أعصابـــي، فقلت بحدة:

- ماذا تقصد؟

حينها أطلق (قنبلته) التي لم أتوقعها قائلا:

- من حقك أن تعبري عن نفسك وحاجاتك كما تشتهين، ولكنك، وآسف لقول هذا، أسأت اختيار الشريك.

تصورت أني قد فهمت فجأة ما الذي يحاوله هـــذا اللئـــيم.. عرفت سبب زياراته اليومية وأدبه المفتعل واصراره علـــى تقـــديم خدمات لم أطلبها يوما.. فهمت كل شيء فاستغربت جرأته بعدما أفصح عن نياته من حيث لا يدري.. ولكن من يتصور نفســـه؟.. هذا القميء.. هذا الصعلوك الذي لا يكاد يـــرى.. حاولـــت أن أصيح ولكن صوتي أبى إلا أن يبدو مهادنا في نبراته وأنا أقول:

- وكيف حكمت يا أستاذ أني قد أسأت الاختيار؟!

- أخبريني أولا لِمَ اخترتِ هذا الرجل بالذات.

فاجأني سؤاله، ولكني احتفظت برباطة جأشي وأنا أقول:

- لأنني أحبه.



- ولِمَ تحبينه؟
- لأنه يحبني.

عندها اتسعت ابتسامته مرة أخرى وهو يقول:

- يحبك؟.. وكيف عرفت؟

اعتبرت قوله هذا إسرافاً في الوقاحة فقلت على الفور:

- ومن تكون أنت لتسألني؟

فقال بهدوء رغم نبرات الغضب التي ضمنتها صوتي وأنا أقول جملتي الأخيرة:

- أنت التي أعطيتني هذا الحق.
- أنا.. كيف؟!
- بأن أخبرتني بما لم تكن امرأة أخرى لتجرؤ على البوح به لرجل غريب.

بدا لي محقا بدرجة كبيرة فيما قاله، ولكني لم أتردد في القول:

- ومع ذلك فليس من حقك أن تحاول نصحي.
- ولكني لا أحاول نصحك.. بل أنا أخبرك عن انطباعـــاتي بأقصى ما أستطيعه من صدق.
- وما انطباعاتك عنه؟
- أنه غير جدير بالثقة.
- ألا ترى أنك ظالم بحكمك هذا؟
- وكيف أكون ظالما؟
- لأنك لا تعرفه.
- ولكن بمقدوري أن ألاحظ.
- وما الذي لاحظته؟

- لاحظت كمية الأدوية التي يأخذها.. أهو يجهز مستشفى؟
- لا تبالغ، ومع ذلك ما أدراك بحاجته إلى الأدوية.
- أولا هو يبدو موفور الصحة.. وثانيا والأهم أنا أعرف لم يطلب هذه الكميات الكبيرة.
- لماذا؟
- لأنها مجانية.

شعرت وكأنه طعنني بتصريحه هذا.. لا لأنه كان مخطئا فيما قال، ولكن لأنني كنت قد لاحظت أن وسيماً لم يعد يدفع ثمن ما يطلبه من أدوية ما أن توطدت علاقتنا أكثر.. لم أعرف بم أجيب فقلت مراوغة:

- ولكنه يحبني
- وهل ادعاء الشيء يكفي دليلاً؟

انتبهت إلى ما كان يعنيه ولكني أكملت ما كنت أود قوله بهدوء:

- حتى إنه يكتب لي شعراً.

ضحك حينها بصوت مسموع للمرة الأولى منذ أن تقابلنا، وقال:

- كلمات.. مجرد كلمات.. ثم من يدري كم من امرأة قدم إليها تلك الكلمات.

ولكن، إلى أين ذهبت سلمى مع هيفاء.. لقد تأخرتا.. آسفة يا موت لأنني لم أعد أستطيع التركيز، سأتوقف الآن، ولكن قبل أن أنسى، وددت القول هنا أني لم أطرد حيّان ذلك اليوم.. بل لم

أنــزعج منه حتى في النهاية، فقد بدا لي صادقاً.. صادقاً إلى درجة غير معقولة وهو يدق الأسفين الأول في صلب ثقتي بمشاعر وسيم تجاهي!.. آه يا موت، منذ ذلك اليوم بدأ وجهه يفرض نفسه على ذاكرتي عندما لا يكون موجودا، وبدأت مشاعر الفرح تغــزوني حين أراه، فيما ظل وجه وسيم الوسيم يخلي المزيد مــن المســاحة لوجه حيّان في خيالاتي وأنا لوحدي.

سارت سلمى بخطى ثابته باتجاهه بعد أن دلتها هيفاء عليه.. من بعيد، بدا لها مجرد مراهق، فعجبت لحال صديقتها التي ورطت نفسها بمثل هذه العلاقة!.. ولكنها بدأت تشك بحكمها ذاك كلما ازدادت قربا منه. وحين واجهته بدا له وكأنه قد تجاوز الثلاثين من عمره.. صحيح أنه كان يرتدي كما الشباب جميعا، السروال (الجينز) و(التي شيرت) المعتادين، ولكن لا يمكن للعين أن تخطئ علامات النضج البارزة على وجهه.. وقفت أمامه من دون أن ينتبه لها لأنه كان ينظر باتجاه آخر.. قالت متعمدة أن تذكر اسمه من دون ألقاب:

- مرحبا ماهر.

بدا عليه وكأنه قد أجفل حين سمع اسمه، التفت إليها فبانت فوراً على وجهه علامات المفاجأة، تساءلت مع نفسها عما حلّ به، قالت:

- أنا..

ولكنه قاطعها قائلا:

- أعرف، ولكني لم أتوقع هذا!

لم تستطع أن تفهم ما يقصد فتساءلت:

- ما الذي لم تتوقعه؟

- أن تكوني بهذا الجمال.

قالها وعيناه معلقتان بوجهها، ثم أكمل من دون أن يعطيها المجال للرد:



- مستحيل.
- وما المستحيل؟
- أن تكوني بهذه الروعة.. هذا يفوق أشد أحلامي تفاؤلاً.

أدركت في أعماقها أنها لم تكن مستعدة لمثل هذا الغزل الصريح ولذلك شعرت بالحيرة، ولكنها سرعان ما تذكرت أنــه يتصــورها هيفاء فقالت:

- ولكن..

ولكنه قاطعها مرة أخرى قائلا:

- دعيني أنعم النظر في وجهك أرجوك.. أنت جميلة جدا، لم أتوقع ذلك.

تساءلت مع نفسها عن مصير كل المشاعر غــير المريحــة الــتي كانت تشعر بها وهي تتقدم منه لتبلغه القرار؟.. بحثــت في أرجــاء نفسها فلم تجد ثمة غير شعور خفيف بالامتنان لما يقول.. بل شعرت بتعاطف معه وهي تنوي أن تخيب رجاءه!.. ولكنها ســرعان مــا تداركت نفسها وحزمت أمرها، فقالت:

- ماهر أرجوك أنا لست هيفاء.

بانت المفاجأة على وجهه فقال متلعثما:

- ومن تكونين يا سيدتي.
- أنا صديقتها وقد أتيت..

ولكنه قاطعها متسائلاً:

- هل حدث لها شيئا؟
- لا لم..

فقاطعها مرة أخرى:



- ولِمَ أتيت أنت، هل أرسلتك هي؟
- طبعا.
- هل هي مريضة؟

حينها تضايقت من طريقته المندفعة في إلقاء الأسئلة ومقاطعتها، قالت:

- أرجوك ماهر دعني أفهمك.

لم يبد عليه أنه قد سمعها، بل قال بطريقته نفسها:

- نحن متواعدان، كان يجب أن تأتي.

قالت سلمى وهي تحاول أن ترسم الجد على ملامحها لتترك أبلغ الآثار عنده:

- أعرف وقد أتيت لأخبرك بأن كل شيء يجب أن ينتهي.

أجفل حين سمع ذلك، ولكن بدا وكأنه قد تمالك نفسه سريعا لأنه قال:

- ولكن لماذا؟
- لأنه لا يصح.

سكتت لتستطلع أثر كلامها عليه، فلاحظت أن في وجهه ملاحة واضحة.. لم يبد في عينيه غير الانغماس الكامل في التطلع بوجهها.. أكملت:

- هيفاء زوجة وأم، وما يمكن أن يحدث بينكما خطأ فادح.
- ولكني لم أكن البادئ.
- لا يهم يا ماهر، يمكن للإنسان أن يخطأ ثم يتراجع.. ساعدها.



- وكيف يمكنني أن أساعدها؟!
- ابتعد عنها.

بدا عليه أنه يفكر قليلا، قبل أن يرتسم ظل ابتسامة على شفتيه، قال:

- أبتعد.. بشرط.

فكرت مع نفسها، "بهذه السرعة!"، ولكنها قالت:

- شرط.. وما هو؟!
- أن تساعديني بذلك.

لم تستطع أن تتأكد إن كان جادا فيما قال أم أنه كان مازحا.. فردت وقد بدأت سحب الشك تتراكم في داخلها:

- وكيف يمكنني أنا أن أساعدك في ذلك؟!
- بأن تكوني صديقتي.

تحول الشك إلى غضب بدأ يفور، فتحت فاها لتقول شيئا ولكنه عاجلها بالقول:

- على الفيسبوك أقصد.. أليس عندك حساب، أضيفيني أرجوك.

غار الغضب سريعا من داخلها، ولكنها تعمدت أن تقول بحدة:

- وما الذي تريده مني يا أستاذ؟

لم يبد عليه أنه قد اهتم لغضبها الظاهر فقال وهو يبتسم:

- هل تخشين مني؟

ضحكت وهي تقول:

- ولِمَ أخشى منك أو من غيرك؟
- انتهينا إذاً، أضيفيني.

طرأت فكرة مستعجلة على بالها في تلك اللحظة فقالت:

- وتحذف هيفاء؟
- أحذفها طبعا.
- إذاً سنرى.

شعرت وكأنها قد أنجزت المطلوب فغادرت مسرعة.. وهي تغذ الخطى باتجاه المكان الذي تركت هديل فيه، بدأت تفكر بما حدث للتو فتعجبت لنفسها.. ما الذي فعلته، ولكنها سرعان ما سخرت من نفسها لأنها فكرت بما يمكن أن تخافه من هذا الغر المغرور.

في تلك اللحظات، كانت هيفاء قد استقلت سيارة الأجرة التي طلبت من سائقها أن يأخذها إلى بيت سهاد.. شعرت فجأة بعدم الرغبة بالبقاء في النادي، بعدما تركتها سلمى متجهة إلى ماهر لتبدد حلمها الحلو الذي رسمته وهي تفكر بلقائه.. شعرت وكأنها تنزلق إلى درك سحيق فبدت لحظتها سهاد وكأنها طوق النجاة من معاناتها التي لا تريد أن تنتهي ولذلك اتصلت بها واتفقتا على اللقاء.

حين توقفت سيارة الأجرة عند المدخل الوحيد لذلك الحي الذي سدت أزقته المانعات الكونكريتية وجذوع الأشجار وكل ما من شأنه أن يخدش النظر في عرض مزري لقلة الذوق، وجدت سهاد في انتظارها كما وعدتها.. ضمتها سهاد بشدة إلى صدرها وهي تغمر وجهها بالقبلات، فشعرت به لقاء بهيجا يليق بكل تلك السنوات التي مضت منذ أن تلاقتا للمرة الأخيرة، وبادلتها مشاعرا سخية، وقبلات.. سارتا إلى البيت القريب من المدخل اليتيم.

بدا لها البيت الذي دخلته نظيفا جدا رغم طرازه العتيق، وحين رفعت رأسها لم تلحظ خيوط العناكب التي تعودت على رؤيتها في البيوت المشابهة القليلة التي زارتها من قبل.. قالت سهاد:

- لنجلس في الصالة.

ثم سكتت قبل أن تضيف:

- أو في أي مكان تشائين.. فنحن لوحدنا هنا على أية حال.

فتساءلت هيفاء:

- وأين الباقون.

فقالت سهاد بصوت محايد:

- لا باقين.. أنا أسكن لوحدي في هذا البيت.

شعرت هيفاء بغرابة فكرة أن تعيش امرأة مثل سهاد لوحدها في مثل هذا الوقت العصيب، ولكن صاحبتها لم تعطها مجالا لأن تسأل، فقد أضافت:

- أنت تعرفين أني لم أتزوج، ولذلك عشت في هذا البيت بعد زواج اخوتي واخواتي، مع أمي وأبي حتى ماتا، وهكذا بقيت لوحدي.

لم تعلق هيفاء حتى جلست في الصالة لتجلس سهاد أمامها.. قالت بعد صمت قصير:

- ولكن لِمَ لَمْ تتزوجي يا سهاد؟

بدت المفاجأة على وجه سهاد وهي تسمع هذا السؤال الذي يبدو أنها لم تتوقعه، فقالت بسرعة:

- قسمة ونصيب.

ولكنها لم تستطع أن تكبح بسمة تسللت إلى شفتيها لم يفت هيفاء أن تلحظها ولكنها لم تشأ أن تعلق بشيء.. قالت سهاد بعد مرور قليل من الوقت:

- يبدو وجهك شديد الشحوب يا هيفاء.. ما بك؟

فوجئت هيفاء بالسؤال تماما فتلعثمت.. أرادت أن ترد ولكن الصور حاصرتها.. وجه زوجها الممتنع وصوت سلمى الغاضب وهو يعنفها.. تذكرت وجه ماهر الجميل الذي كان يعدها بالانتقام من برودة فراشها الزوجي، وليالي السهاد بسبب الرغبة المحبطة.. حاولت أن تتماسك، ولكن دموعها أبت إلا أن تخذلها فبكت قبل أن يولد الرد.. سمعت صديقتها تقول بصوت متعاطف:

- ما بك هيفاء.. أخبريني.

ثم أتبعت سؤالها بالانتقال إلى جانب هيفاء لتضع يدها على ركبتها في حركة تعاطف واضحة.. لم تستطع هيفاء أن تسيطر على دموعها، بل استمرت ببكائها الصامت ثوان أخرى.. قالت صاحبتها:

- هيا هيفاء أخبريني، أنا صديقتك التي تحبك.

ابتسمت لها هيفاء من خلال دموعها، ولكن صوتها أبى أن يعينها إلا بعد لأي لتقول:

- حياتي تتهاوى يا سهاد.

داعبت سهاد خدها وهي تبتسم لها برقة، وقالت:

- هيا اخبريني بكل شيء.

صعب على هيفاء أن تخبر صديقتها التي فارقتها منذ سنوات عن ما تعتبره كل امرأة طبيعية أسرارا شخصية لا يصح الافصاح عنها إلا للمقربين.. قالت بعد تفكير قصير:

- مشاكل.. مشاكل مع زوجي.

قالت سهاد على الفور:

- آه فهمت.. تبا للرجال.. أيضربك؟

ارتفع صوت هيفاء وهي تقول:

- لا.. لا أبدا.

- فما فعل بك إذاً؟

لم ترد هيفاء هذه المرة، بل ازدادت دموعها انهماراً.. لاحظت أن سهاد قد اقتربت منها، قبل أن تقول:

- ألن تخبري صديقتك بما تعانين منه.. أنا أريد أن أساعدك يا هيفاء فأنا أحبك كثيرا.

تطلعت هيفاء إليها بامتنان قبل أن تقول من خلال دموعها:

- لا أعرف كيف أخبرك يا سهاد.

حدقت سهاد بعيني صديقتها وقالت:

- هل الأمر يتعلق بالجنس؟

أحرجت هيفاء و لم تعرف كيف ترد، ولكنها أومأت برأسها ايجاباً.. قالت سهاد بانفعال لم تحاول أن تخفيه:

- تلك هي كارثة النساء.. أنا لا أعرف لِمَ يربطن مصيرهن بقطعة اللحم المتدلية تلك.. كيف يرضين بالعبودية بسببها؟!

لم تستطع هيفاء أن تكبح البسمة التي ظهرت على شفتيها رغم دموعها.. قالت باستحياء:

- أو ليس هذا هو الطبيعي؟

صاحت سهاد:

- عن أية طبيعة تتكلمين؟
- أليست هي الطريقة الوحيدة لاستمرار الحياة على هذه الأرض؟
- أها.. العذر التقليدي.. قولي لي، أتريدينه الآن لأنك تفكرين بانجاب المزيد من تلك المخلوقات الغريبة؟
- طبعا لا.. لقد أغلق المعمل منذ سنوات.
- فأين الطبيعة إذاً.
- ولكن عدم الانجاب لا يعني انتفاء الرغبة.
- أفهم ذلك.. ولكن أين الطبيعة في ذلك؟
- ما هذا يا سهاد.. غرائزنا هي الطبيعة!
- لا يا هيفاء.. إن قلت الطبيعة فهذا يعني ممارسة الجنس من أجل الانجاب فقط، وهذا ما كانت تفعله جداتنا في الكهوف، هكذا كانت تعمل الغريزة، هذا ما أرادته الطبيعة، ولكن ما تشعرين به هو اضافة انسانية بحتة، أم أنك تتصورين أن اولئك العاهرات كنَّ يبحثنَ عن المتعة قبل آلاف السنين عندما يرتضينَ أن يفتحنَ سيقانهنَ (لإنعاظات) شركائهن؟!
- نعم، هذا ما كنَّ يفعلنَ، هكذا تعمل الغريزة.
- الغريزة نعم، ولكننا نتحدث هنا عن الرغبة.. عن الحاجة وليست الغريزة، افهمي هيفاء، الأمر مختلف تماما، فنحن نحتاج الرجل عندما نريد أن ننجب، ولكن الأمر مرهون بإراداتنا عندما نريد أن نتمتع، أن نشعر باللذة.. وهناك عشرات الطرائق.. قولي لي، أما فكرت بأن تخدمي نفسك بنفسك وأنت تعانين من هذا الحرمان؟!

صاحت هيفاء وهي تكاد لا تصدق أذنيها:

- بهذا العمر يا سهاد.. معقولة؟!

- وما هو غير المعقول.. ألا تريدين أن تشعري باللذة؟

- نعم، ولكن الأولاد..

لم تدعها سهاد تكمل عبارتها بل قالت:

- أولاد؟!.. وما دخل الأولاد بهذا؟

لم تعرف هيفاء بمَ تجيب ولكن سهاد لم تكن تنتظر إجابة لأنها أكملت قائلة:

- تستحين منهم؟.. أما كان الأولى بك أن تخجلي من أن تكوني عبدة لرجل يلجك حين يشتهيك ويهملك حين لا يريد، أو لأن ذلك الشيء لم يعمل كما ينبغي؟

صاحت هيفاء وقد بلغ بها الحرج أقصاه:

- سهاد.

ولكن لم يبد على سهاد أنها تهتم لمعارضتها، فقد أكملت بهدوء:

- آسفة هيفاء، ولكن لا بد لأحد أن يقول الحقيقة.. أنت تقولين أنك تخجلين من ممارسة العادة السرية وأنت أم.. حسنا، ألا تخجلين من أن تأخذي كل الأوضاع المهينة التي يطلبها منك زوجك وهم ينامون في الغرفة المجاورة، لمجرد أن يتشرف عضوك بحلول (أبو عرّام) فيه؟

- ولكن ذلك ما يفعله الجميع!

- ولِمَ يفعلونه؟

- لأنهم تعودوا المتعة.. ويريدونها.



- وأنا أتحدث عن المتعة واللذة هنا.. أنا فقط لا أفهـــم لِـــمَ يجب أن تكون حصراً بذلك الشيء وقد انتفت الحاجة إلى الانجاب؟!

لم تستطع هيفاء أن تجد ما تقول هذه المرة غير كلمات حـــائرة هي:

- ما العمل يا سهاد؟

ضحكت سهاد وهي تقول:

- لا تهتمي حبيبتي فقد أتيت إلى حيث كان يجب أن تـــأتي منذ زمن بعيد.

أرادت هيفاء الحائرة أن تسأل صاحبتها عما تقصد، ولكنـــها لاحظت أنها قد إزدادت قربا مما يؤكد وضوح مقصدها إلى درجـــة فاضحة.. اختلطت عليها الأمور.. أهذا يعني أن الشـــائعات عنـــها حقيقية؟!.. فلتكن، ولكن أهي تعني أنها يمكن!.. لم تستطع أن تكمل الجملة حتى في خاطرها.. لم يخطر لها هذا الأمر ببال، ولكن الايحـــاء في كلام سهاد كان مريباً بالنسبة لها.. شعرت بخوف زاد ارتباكها.. كانت سهاد خلال ذلك تراقبها بتمعن وكأنها تحاول تخمين ما يجري في داخلها.

قالت سهاد بعد صمت طال قليلا:

- أنا صديقتك وسأساعدك بأقصى ما أستطيع.

خفف الخوف قليلا من قبضته عليها.. قالت بتلعثم:

- شكـــ، شكراً حبيبتي.

ولكنها تساءلت في داخلها "بم يمكن أن تساعديني يا عيني؟!"..
قالت سهاد:



- أنت تعرفين أنني أستطيع أن أساعدك بالطبع.

بدت سهاد وكأنها تقرأ أفكارها بالفعل، فعاودها الخوف.. لم تدرِ إن كانت صاحبتها تمارس معها لعبة نفسية، أم أنه سحر من نوع ما.. انكمشت في مكانها.. ضغطت سهاد على فخذها وقالت بصوت هامس:

- استرخي يا حبيبتي.

لم تستطع أن تسترخي، بل اكتفت بمحاولة رسم ابتسامة على شفتيها لتراها سهاد التي كانت تراقبها باصرار.. تململت فأتاها صوت سهاد آمرا هذه المرة:

- استرخي.

فاسندت ظهرها إلى ظهر الأريكة وهي تكاد تبكي لعجزها عن التفكير بالتصرف الصحيح الذي يجب أن تتبعه.. قالت سهاد بلهجة حانية ولكنها مفعمة بالقوة:

- لا تخافي يا هيفاء.. لن يجبرك أحد على شيء، ولكن افهمي.. ما أعرضه عليك إنما هو من أجلك، واقسم أنك ستكونين سعيدة.

ثم سكتت.. حدقت ملياً في وجهها، قبل أن تقول:

- (انزول عليچ بعد چ حلوة!).

أردفت قولها بابتسامة ودود قبل أن تضيف:

- (جسمچ يخبل!).

كانت الرسالة هذه المرة أكثر وضوحاً، ومع ذلك لم تستطع أن تصدق.. قالت مراوغة:

- (شكرا حَبيبْتي)، ولكن ما العرض؟.. لم أعرف أن هناك عرضاً!



فردّت سهاد وهي تركز على كل حرف تقوله:

- (لا تتلوتين براسي).. هناك عرض.. وتفهمين.

حينها، لم يعد هنالك شك بالمرة، فاضطربت أيما اضـــطراب.. نهضت فوراً بلا شعور وقالت:

- لا استطيع سهاد.. أنا ذاهبة.

نهضت سهاد هي الأخرى، وقالت بجفاء لم يخفَ عليها:

- (بكيفچ).

إزدادت اضطرابا.. سارت باتجاه الباب، ولكن سهاد استوقفتها فجأة وقالت لها:

- (حَبيبْتي هيفاء).. أنا صديقتك.. وسأبقى كذلك.
- شكراً.
- لا تترددي بالاتصال أرجوك إن احتجتني، فرفض العرض لا يعني نهاية صداقتنا.

حاولت أن تقول شيئا، ولكنها لم تجد ما تقولـــه، فأكملـــت سهاد:

- أرجوك افهمي.



أنا آسفة يا صديقي، فقد أردت أن أخبرك بأشـــياء عميقـــة.. عميقة جدا، ولكني لم أخبرك طوال الأســـابيع الـــتي مضـــت إلا التفاهات التي استطيع أن اقولها لأية صديقة مقرّبة، ولكنه النفـــاق الذي تعودناه كبشر، فقد تعودنا أن نقول كل ما من شأنه أن يخفي حقيقتنا عن أعين الآخرين.. هكذا تعودنا ويبدو أننا لن نستطيع أن نتخلص من هذا الأمر بسهولة.. عندما أبوح لك يا مـــوت أنـــا لا أريد أن أدين أحدا أو أن أكيل لأحد، أنا فقط أريد أن أبوح لـــك بكل ما يثقل وجداني.. أريد أن ابوح بطريقة تجعلني أدرك الســـلام الداخلي الذي أتحدث عنه منذ أن وعيت نفسي، وهذا لن يحدث إلا إن كنت صادقة في كل ما أقول وأن لا أخفي عليك شيئا.. أبدا.

منذ اليوم سأبدأ باخبارك عن خافية نفســـي كمـــا هـــي.. سأخبرك عن كل ما لا يعرفه أحد عني غير الذين شاركوني ببعض ما فعلت، ولكن قبل ذلك وددت أن أخبرك بأنني كنـــت طفلـــة طبيعية قد لا تنبئ ظروفها بما إنتهيت إليه الآن.. لا، أنا لا أريد أن أداري شيئا، فقط أردت أن أقول الحقيقة كما هـــي وطبعـــا لـــن أخشى شيئا لأنك لن تخبر أحدا بكل تأكيد.

أبـــي كان موظفا حكوميا أيام كان هذا الأمر يعني شيئا من حيث تأمين العيش الكريم لعائلة صغيرة كعائلتنا المكونة من أمـــي وأبـــي وأخت وأخ أنا أكبرهم.. ولكي يحقق حلمـــه في تكـــوين عائلة، تزوج من أمي التي أتت من بيئة فقيرة في أول فرصة اتيحت

له، لم يبحث عن عروس أثقف من أمي شبه الأمية، ولم ينتظر أخرى من مستوى اجتماعي أفضل، فقط تزوج.. وإن أردت قول الحق، فيجب علي أن أعترف بأنه كان أفضل أب يمكن أن يمنحه مجتمع كمجتمعنا، فقد كنت مدللة أبي ولم يتغير هذا حتى بعد أن رزق بالولد الذي يشكل ثقلاً بارزاً في العائلة العراقية التقليدية، ولذلك مات وهو يحمل كنية "أبو هديل" التي لم يأنف من سماعها يوما.. أبي، كان النقطة المضيئة الأولى في حياتي، ولا أعرف إن كان هذا هو السبب في توتر علاقتي بأمي أحيانا، فقد كانت متدينة وصارمة وتبدو وكأن التقيد بـ (التابوهات)، وفرضها، متعة لها.. طبعاً هذا لا يعني أني يمكن أن أنسى فضل أمي في تكويني، ولكنني فقط أعتقد أن أبي كان هو الشخص الأهم في حياتي، وهو من جعل السنوات التسعة الأولى من حياتي، الأسعد والأجمل.. آه يا موت، لماذا يجب أن نكبر؟ ولكن ما هذا الهذر، يجب أن نكبر في النهاية.. المهم، في العاشرة من عمري حدث الزلزال عندما بدأت تلك الكتلة الخطيرة في صدري بالتكوّر، انتبهت إليها وتعودت أن ألامسها كلما اقتنصت خلوة لنفسي، كانت (الدغدغة) هي كل ما كنت أشعر به في البداية وأنا أداعبها بأناملي، ولكن مع مرور الوقت بدأت مشاعر شتى تغزوني، وفي أماكن شتى.. وهكذا بدأت تلك المشاعر اللذيذة الغامضة تنتابني، ولم أحتج لأحد ليخبرني بأن ذلك يجب أن يكون سري الخاص.

آه يا موت، لِمَ فعلوا ذلك بي؟.. أما كان بامكاني أن أكون مجرد امرأة عادية تحب وتكره وتعمل وتمارس الجنس كأية امرأة طبيعية؟.. لِمَ حولوا ذلك الشيء إلى هاجس سلب مني

السكينة وراحة البال طوال حياتي.. لِمَ جعلوني أمارس نشـــاطاتي كالآلة، بلا حب ولا اهتمام لأن الأهم دوما كان هو الجنس الذي أحلم به طوال الوقت.. أنا لا ألومهم يا موت لأنهم لم يـــوفروا لي الجنس عندما بلغت وأنا في العاشرة!، انا أعرف أن هـــذا لـــيس معقولا، أنا ألومهم فقط لأن أحدا لم يأخذ بيدي في ذلـــك العمـــر العصيب.. لم يكلف أحد نفسه عناء أن يفهمني ما يدور.. ما كان ضرّ أمي لو أنها كانت قد حذرتني من قطرات الدم تلـــك الـــتي ظهرت فأرعبتني ثلاثة أيام بكاملها قبل أن تكتشفها أمي بنفســـها على ملابسي الداخلية التي غسلتُها مرارا وتكرارا لإخفاء الأمـــر عنها، ولكني عجزت، فإذا بها تحمل أحدها بيدها وتتفرس بـــــي فبكيتُ من شدة الخوف قبل أن تأخذني إلى حضنها وتقبلني وهـــي تقول:

– (يمة فدوة لبنتي.. صارت مرة).

ما كان ضرّها لو أخبرتني عن كيفية تشريفي هذه الـــدنيا، أو أن توضح لي ما فعلاه هي وأبـــي من أجل ذلك؟.. ما كان ضرّها لو أنها كانت قد أعفتني من عقوبتها الضارية يـــوم اكتشـــفت أني كنت ألعب لعبة (بيت أبو بيوت) مع أخي الصغير.. أقسم لك أنها كانت الأولى والأخيرة، ولكن أثرها في النفس ما زال حيا حـــتى هذه اللحظة.. أما كان بامكانها أن تجعلني أفهم بدلا عـــن تلـــك اللطمات التي كادت تفقدني عقلي؟! ما كان ضرّهم لو أن أحدهم شرح لي (فسلجة) قضيب الرجل بدلا من أن أضيع معظم سنوات شبابـــي وأنا أتساءل عن سرّه المحير؟ آه يا مـــوت قصـــة هـــذا القضيب معي لوحدها قصة.

بدأ الأمر حين اقتحمت على والديّ غرفتهما ذات ليلة لحاجتي إلى أمي.. رأيتها ممددة على السرير عارية تماما وهي تضع يدها على شيئها وتبتسم لشيء أمامها، جمدت في مكاني ولكن عقلي لم يجمد ففي جزء من ثانية استوعبت فكرة أنها كانت تداعب منها ما لم تدخر فرصة في تحذيري من مداعبته مني.. حركت نظري بالاتجاه الذي كانت تنظر اليه فرأيت أبي ينضو منامته عن عريه، تركز نظري على وسطه.. أسفل بطنه كان ذلك الشيء.. لم يبد لي شيئا إنسانيا، لا ليس إنسانيا بالمرة فكل ما يستطيل منا يتجه إلى الأسفل إلا هذا الذي يمتد إلى الأمام متحديا قوى الجاذبية.. مدق الهاون النحاسي الذي كانت تحتفظ به أمي في المطبخ، كان اول ما خطر ببالي حين رأيته، ولكن ذلك الشيء لم يكن نحاسيا.. لم يبد كذلك، بل كان جزءاً من جسد أبي!.. وقفت ذاهلة في مكاني لا أعرف ما أفعل حتى رآني أبي فجمد هو الآخر لا يعرف ما يفعل هو ايضاً، حانت مني نظرة إلى أمي فرأيتها وقد غطت جسدها واستحالت السعادة في عينيها إلى رعب وهي تتطلع إلي.. أدركت أنني قد تجاوزت حدودي فهربت.. ركضت إلى غرفتي ولجأت إلى سريري حيث غطيت رأسي وبقيت أرتجف وأنا أحاول أن أقيّم فداحة ما فعلت وأخمن ما العقوبة.. حين أتى أبي بعد قليل وقد أعاد لبس منامته، تظاهرت بالنوم وأبيت أن أفتح عينيّ رغم مناداته لي باسمي.. بدا صوته رقيقا فهدأت مخاوفي قليلاً ولكني لم أرد.. شعرت به يقف قريبا مني قبل أن يقبلني على جبيني ويذهب.

لم تشعرني تلك القبلة إلا بالاشمئزاز.. نعم يا موت، هذا ما شعرت به، وبم تريدني أن أشعر وأنا أستجمع معلوماتي الضئيلة عن

الأمر التي جمعتها من أحاديث صديقاتي ومن حرمة تلك الأشـــياء التي علموني إياها أهلي.. لا تلعب بهذا ولا تداعب ذاك.. أنـــا لم أضبطهما متلبسين، ولكن كان الأمر أكثر من واضح رغم عمري الصغير، كانا يتهيآن لعمل الفاحشة.. أمي وأبـــي كانا في سبيلهما إلى الفسق.. أبـــي أنا! وأمي أنا! يفعلان ما كانا يخشيان علينا من فعله.. هذه تداعب وذلك يخرج سيفه.. يا لله يا موت كيف كان يمكنني أن أتقبل الأمر وأنا أرى هذين الانسانين اللـــذين صـــدّعا رؤوسنا بمحاضراهما عن الأخلاق والفضـــيلة وهمـــا يســـتعدان ليمارسا ذلك الفعل الأدنى الذي لا يقترفه إلا أسوأ الناس.. هيـــا تصور معي كيف يمكن أن يكون وقع هذه الجملة على وجـــدانك وأنت طفل في العاشرة من عمرك.. (أبوية ينيج أمي).. كيف يمكن لعالمي الصغير أن يصمد وأنا أكتشف فجأة أنـــني بنـــت أســـوأ الناس؟.. بكيت ليلتها كثيراً وأنـــا أفكـــر بصـــديقاتي.. كيـــف سأواجههن في الغد وأنا محملة بهذا السر الفظيع؟!.. تبـــاً، كيـــف أمكنهما فعل ذلك بـــي؟!.

طبعاً، أنا لا أتذكر كيف تمكنت فيما بعد من تجاوز الأمـــر، رغم أن صورة والديّ قد خُدشت عندي بعد تلك الليلة.. ولكن صورة واحدة بقيت واضحة في بالي وأبت أن تغـــادر ذاكـــرتي.. صورة ذلك (المدق) الذي يخفيه أبـــي بين طيات ملابسه، لم تبارح صورته ذهني أبداً منذ ذلك اليـــوم.. وبقـــى ســـؤالي حـــائرا في وجداني.. كيف يمكن للرجال أن يخفوا ذلك الشيء الهائل عنـــدما يكونون مرتدين ملابسهم؟! أيمكن أن يكون قـــابلا للنـــــزع ولا يلبسوه إلا حين يريدون أن يفسقوا؟! ولكني كنت أعرف جيـــدا

أننا معشر البشر لسنا دمى ويستحيل نـــزع أعضـــائنا ولبســـها، فكيف يحدث هذا؟.. هذا ما لم أعرفـــه إلا بعـــد أن تزوجـــت!.. أتعرف، حين أغويت أخي وأقنعته بأن يلعب معي في ظهيرة يـــوم حار جداً.. لم يكن يسمح لنا بالخروج من البيت إلا مـــع العائلـــة ولذلك كان لا بد من قضاء معظم الوقت في عطلاتنا الصـــيفية في البيت إلا إذا سافرنا أو ذهبنا لزيارة أقارب أو أصـــدقاء، وأنـــت تعرف أن الوقت يكاد لا يمر عندما تكون طفلاً محاصراً في البيت.. المهم هو أني فكرت في تلك الأيام، بعد أن بدأت تلـــك المشـــاعر الجديدة تتحكم بجسدي، ومزاجي أحيانا، أن أستفيد من أخي لأنه الذكر الوحيد المتاح لي في ذلك البيت الكبير، تأكدت من نوم أمي في يوم لم يأت فيه أبـــي من عمله لمشـــاغله الكـــثيرة، وكـــذلك تأكدت من نوم أختي لأنني لم أكن أحتاجها.. أغلقنا بـــاب غرفـــة الضيوف علينا وأقنعت المسكين بأننا أنثى وذكر في يوم عرســـهم، وعندما طلبت منه أن ينـــزع ملابسه كما أفعل وافق فوراً ولكني لم أسرف لأن كل نـــزقي وجرأتي لم يكونا يسمحان لي أن أتجـــاوز فكرة المحرمات التي غرست في أعماقي.. بقينا بملابسنا الداخليـــة وجعلته ينام إلى جانبـــي.. أقنعته بأن يلامس نهدي الوليدين فذلك كان أقصى ما أستطيع تصوره عما يفعلـــه العـــرائس في ليلتـــهم الموعودة.. حين التصق بـــي وهو يمتثل لأمري، شعرت بصـــلابة شيئه وكأنه يحاول اختراق فخذي، فتذكرت المدق الذي حيّـــرني وتصورت أن هذه فرصتي لأعرف ماهيته، وحين فكرت بأن أمـــد يدي لأكشف عنه، سمعت الصرخة الهائلة.. ياه يا موت، عانيـــت طويلاً مما حدث في ذلك اليوم الرهيب، ويتعبني جدا أن أستذكره

الآن ولكني وعدتك بأن أخبرك عن كل شيء، وسأفعل.. كانت صرخة أمي التي ما أن رأيتها واقفة فوق رأسي وقد هاج الغضب في عينيها، حتى شعرت بدفء البول بين ساقيّ، ولكنها لم ترحمني بعد أن فرّ أخي فراحت تضربني بكل قواها وكانت المرة الأولى التي أتعرض فيها إلى عقوبة جسدية، ولكن الذي أرعبني حقاً كان صراخها، فقد بدا لي في تلك اللحظات الرهيبة وكأنه صوت الله الغاضب من عظم ذنبي الذي اقترفته، وهي تخبرني عن جهنم التي أنا ذاهبة إليها بكل تأكيد.. لم ترحم ضعفي ولم تأبه لدموعي ولا لرعبي الذي لا أشك أنه كان واضحا وأنا أتوسل إليها وأقبل يديها التي كانت تضربني بها.. هي لم تكف عن الضرب حتى كلّت يداها، وعندها هربت من أمامها لأنزوي تحت السلم كالكلب الذليل وأنا أحاول تصور هول ما اقترفت.. بقيت هناك، وكانت هي تمر بي بين الحين والآخر فأرى نظرات الله الغاضبة في عينيها فيزداد بؤسي.. رحمني سلطان الكرى وأنا هناك، وعندما استيقظت وجدت نفسي في سريري وقد ألبسني أحدهم منامة وبدّل لي لباسي الداخلي المبلل.. لم أسأل نفسي عمن فعل ذلك، بل انشغلت بقراري الذي اتخذته حال يقظتي، فقد حان وقت الحجاب الذي لطالما أقضّت مضجعي فكرة ارتدائه.. قررت يومها أن أرتديه وأن أستعين بأداء واجباتي الدينية لعلي أستطيع أن أنقذ ما تبقى من حطام روحي البائسة.

طبعا لم يكن لمثل هذا القرار أن يمر مرور الكرام على أبي الذي لم يكن متديناً، فرغم سعادة أمي الهائلة بقراري، حتى إنها سامحتني فوراً، إلا أن أبي رفضه، ولم يدعني أرتدي الحجاب وأنا

بذلك العمر أكثر من يومين، ولكني لم أسه عن صلواتي ومواقيتها رغم ذلك لأنني كنت أعرف حينها أن الله نفسه هو ملاذي الأخير قبل أن أضيع في الجحيم نهائياً.. أصبحت مصلية متعبدة ولكني لم أنس يوماً أن أختلس النظر إلى وسط أي ذكر يمكن أن ألتقيه لأرى أثر تلك اللعنة التي خلدت في ذاكرتي منتصبة.. آه يا موت كم مزقني ذلك الحال وأرعبني فقد تأكدت من أن الشيطان قد سكنني نهائيا ولن تفيدني صلواتي بشيء، بل لعل أدائي لها يضاعف من ذنبي الذي لا يغتفر.. أقرر وأنا أصرّ على أسناني أن أكون نقية وملتزمة، ولكنني ما أن أسهو قليلا حتى أجدني متلبسة (بالبصبصة) وأنا أتساءل مع نفسي إن كانوا يربطونه بأفخاذهم بطريقة ما، أو يلصقونه رغم أنه لم يبد عليه أنه من النوع القابل للطي!.

بقى السؤال حائراً في داخلي حتى تصورت ذات فرصة أني واجدة الجواب، عندما وجدت نفسي صيدلانية متدربة في مستشفى بعد تخرجي من الكلية، بذلت أقصى جهودي مع صديقتي الجديدة الطبيبة المقيمة في نفس المستشفى، بل توسلت بها لإستحصال موافقة لي على حضور عملية جراحية لنزيل شاب.. طبعا كان السبب المعلن لرغبتي هو علمي بحت، ولكني لم أكن أريد غير أن أرى ذلك الشيء من كثب لأكتشف سره.. نجحت صديقتي في مسعاها من أجلي، فدخلت، وفي صالة العمليات ناورت مرارا وتكراراً مدعيّة أني أحاول أن أبعد عن طريق الأطباء المشغولين بالعملية، فيما كنت بالحقيقة أتحين الفرصة لأراه رغم أني كنت قد فقدت حماستي قبلها لأن الخرقة التي غطي بها لم تكن

مرفوعة كما كان يفترض بها.. وعندما تسنى لي أن أراه، لم يبد لي إلا كأفعى صغيرة خائفة.. أو دودة كبيرة، وهي تحاول أن تستجير بما بين ساقي الشاب.. كان شيئا يفتقد إلى العنفوان الذي ألصقته به في خيالاتي الممتدة منذ سنوات طويلة.. لا انتصاب ولا صلابة وعندها أدركت عظم مأساة هذا الشاب المسكين الذي مات منه هذا الجزء المهم والحيوي!.

تابعت صوت الهاتف وهو يرن في الطرف الآخر حتى أتاها صوت سهاد وهي تقول:

- (هلو هيفاء).

فقال بأقصى ما تستطيعه من ثبات بعد معاناتها الطويلة من التردد قبل أن تتصل:

- أهلا سهاد.
- (شلونچ عيني؟)
- (زينة)

ثم سكتت قليلا قبل أن تضيف:

- (ما أدري)
- (ليش ما تدرين؟.. إدري).
- (راح أتخبل سهاد)
- (لچ ليش؟)
- حاولت أن ألهي نفسي، ولكنني فشلت.. نيران رغباتي متقدة وجسدي يصطخب.
- لقد قلت ما عندي يا عزيزتي، والقرار لك.
- (لچ عيني اخاف)

فسمعت قهقهة عالية عبر الهاتف قبل أن تقول سهاد:

- (ليش تخافين؟.. خايفة لا تحبلين مني؟!)

ابتسمت حين سمعت ذلك، ولكن بالها كان مشغولا بملاحظة أن سهاد لم يعد يهمها أن تخفي نياها.. قالت بجدية:

- لا سهاد.. ما تدعوني إليه لم يخطر لي ببال.
- وهل ستلتقين يوميا بمثلي؟.. طبعا لا يخطر لك ببال.. اسمعيني جيدا هيفاء، أنا جادة طبعا، ولكن صدقيني، لو كانت هناك أية مخاطرة لما عرضت عليك الأمر.

قاطعتها هي قائلة:

- أنا فقط لا أستطيع أن أتصور الأمر.
- اسمعيني فقط الآن.. لقد فقدت شريكتي مؤخرا.. خانتني فطردها.. كنت أحبها كثيرا، وطبعا أغار عليها، ولكنها لم تفهم ذلك.. أنا يا هيفاء مخلصة لأحبتي، فإن وافقت ساعاملك كحبيبة، (وأخليج بعيوني).

مرة أخرى لم تجد ما تقوله، فتابعت سهاد قائلة:

- عرضي لكلينا.. ارجوك افهمي.

لم تستطع إلا أن تنتبه لنبرة الصدق الواضحة في كلمات سهاد، فزاد ذلك في محنتها.. في أعماقها، كانت تريد التجربة لأنها شبه متأكدة من عجزها عن ايجاد بديل ذكري عن زوجها، ولكنها لم تستطع أن تتقبل فكرة سهاد ولذلك بدأت تبكي من شعورها بالقهر.. قالت من بين دموعها:

- لا أعرف يا سهاد.. لا أعرف.

فأتاها صوت سهاد الواثق قائلا:

- لا بأس هيفاء.. حين تعرفين، اتصلي بي.



لم لا ترحمني يا موت، فتأخذني فورا؟.. أنا لم أعد أعرف ما أفعل مع نفسي وهي توردني موارد لم أكن أريدها لنفسي، فهي تقربني من استهلاك احترامي لها.. بل تكاد ترغمني على اقتراف كل ما كنت أخشاه عليها.... كن أنت الحكم بيني وبينها هذه المرة، رجل عاملني بكل احترام وانصاف.. خدمني فأبان لي خطئي ومدى سوء ما كنت أقترف،، تصدى لغبائي وأنقذني من موقف عصيب لم أكن لأرتضيه لكرامتي، موقف كنت لأوقع نفسي به لولاه.. كان صريحاً معي وأخبرني بأنه لا يحبني، ولا مطامع لديه عندي، ومع ذلك أحببته، وهأنذا لا أدّخر وسعا لامتلاكه لنفسي.. لا لنفسي، فهو رجل عصيّ على الامتلاك، وهذا أمر شديد الوضوح حتى لغبية مثلي، ولكن جسدياً في الأقل.. آه يا موت، يبدو أنني قد أدمنت ملذات الجسد إلى حد اللامبالاة بكل ما عرفته من قيم وعادات قد تكون بالية، ولكنها ضرورية لمجتمع مثل مجتمعنا ولا يحق لنا أن نتجاوزها بسهولة.. ولكن اللعنة، فأنا اشتهيه.. اشتهيه بشدة.. نعم يا موت، أنا أشتهي حيّان ولن يهنأ لي بال حتى أراه بين ساقيّ وأنا أتمتع بمرأى علامات الشبق التي ستغزو ملامح وجهه الجميل.. ولكنه لن يفعل، أنا أعرف ذلك ولكنني لا أستطيع أن أتوقف فبالأمس حلمت بأنني أدقّ شيئا ما بهاون أمي.. أدقّ فقط، ولكنني استيقظت مبللة تماما وحيّان ملء تفكيري.. يا الهي، كيف أصبحت هكذا؟! كنت والله فتاة طبيعية،

بل كان الذي اطلعت عليه من اسرار صديقاتي يؤكد أن الكثيرات منهن قد مررن بتجارب جنسية قبل الزواج، وهذا لم يحصل لي.. كيف أصبحت هكذا الآن؟! لا يبدو الأمر منطقياً، ولكن عن أي منطق أتكلم، فهذا ما حدث.. ومع ذلك، كيف حدث؟.. أتعرف، طوال مدة علاقتي بحبيب، لم يلمس يدي ولو مرة واحدة، ولم أمسسه أنا أبداً.. حبيب، زميلي الذي تعرفت عليه في سنتي الجامعية الثالثة واستمرت حتى التخرج.. تقابلنا، تقاربنا واستمررنا.. لا كلمات غزل، لا ملامسات.. وطبعا لا قبلات.. نحن لم نعلن شيئا ولم نخبر أحدا، ولكن الجميع فهموا، حتى إن زملاءنا كانوا يمتنعون عن الجلوس بجانبي في اي مكان عندما أكون لوحدي، لأنهم يعرفون أن الكرسي الشاغر بجانبي محجوز لحبيب بلا حاجة إلى إعلان.. أكانت علاقة حب عذري من جانبه، لا أعرف فنحن حتى لم نتكلم عما يربطنا حقاً، ولكن هذا لا يعني أنني كنت عذرية، لا يا موت، هو لم يمسني ولكنني استقبلته مراراً في أحلامي، وفعلت كل شيء معه.. إلا الجنس الحقيقي لأنني لم أكن أعرف كيفية ممارسته!.

بعد التخرج، اختفى حبيب.. بلا وداع.. بلا وعود وبلا خطط، اختفى.. سافر إلى أهله في محافظتهم، تاركاً إياي لحزني، ولكنه كان حزناً بلا معاناة.. بلا آلام.. فقط حزن شفيف عرفت أنني متجاوزة إياه لا محالة بمرور الأيام، ولكنه ظهر فجأة بعد أشهر.. زارني في المستشفى التي نسبت إليها بعد التخرج بعدما تحرى عني طويلاً، وسأل أصدقاءنا المشتركين.. فرحت به واستقبلته خير استقبال وقد أتاني عارضاً الزواج الذي يعتبره

النهاية الطبيعية للعلاقة التي ربطتنا طوال أعوام، وطبعـــا وافقـــت فوراً وخضت معارك صغيرة في البيت مع أمي من أجل الاعـــداد لزيارة أهله لنا لطلب يدي.. هي أقنعت أبـــي المتردد، فوافـــق في النهاية، وأتوا.. آه يا موت، كيف يمكن للأهل أن يكونوا قســـاة هكذا.. هم يدّعون طوال الوقت أن سعادة أولادهـــم هـــي مـــا تهمهم، ولكنهم لا يتصرفون على أساس ذلـــك!.. لقـــد رفضـــه والدي، وأتعرف لماذا؟.. لأن الرجـــال أتـــوا بـــزيهم العربـــي التقليدي.. طبعا أنكر والدي أن هذا كان هو الســـبب، ولكـــنني على يقين من أنه هو.. أنا لا أعرف إن كان ذلك طائفيا أو طبقيا، ولكن المهم هو أنهم رفضوا حبيب فسببوا لي أزمة نفسية خطـــيرة بعدما كدت أنساه قبل ذلك.. ومع ذلـــك، تجـــاوزت الأمـــر في النهاية، ولكنني لم أنس ما فعلوه بـــي.

بقلب مرتجف، ضغطت على زر الجرس، وسرعان ما فتح الباب لتظهر سهاد، فكادت تسقط أرضا من الاضطراب.. بــدت ســهاد فائقة الجمال في نظرها بشكل غير متوقع.. كانت متزينة وكأنها على موعد مع حبيب!.. احتضنتها سهاد وقبلتها وهي همس:

- لم أصدق اذني حين اتصلتِ.. أهلا بك يا حبيبتي.

قادها إلى حيث جلستا في المرة الأولى.. ســألتها إن كانــت ترغب بشرب شيء ولكن معدها لم تكن مستعدة لتقبــل شــيء، شعرت بها وكأنها قد تحولت إلى صخر.. رفضت فجلســت ســهاد قريبا منها.. ابتسمت لها.. ردت الابتسامة، فازدادت قربا.. تساءلت في داخلها "ما الخطوة القادمة؟!" ولكنها فوجئت بسهاد وهي تنشد بصوت منخفض ولكنه عميق إلى درجة أنها شعرت به وكأنه صادر من غور لا قرار له:

(مطرٌ، مطرٌ، وصديقتها معها ولتشرين نواحُ
والباب تئن مفاصله ويعربد فيه المفتاحُ
شيء بينهما.. يعرفه اثنان، أنا والمصباح)

تساءلت:

- ما هذا

أجابت سهاد على الفور:

- شعر.

ثم سكتت قبل أن تضيف بعد هنيهة وقد شاب صوتها بحة مفاجئة:



- نـــزار.

فقالت هيفاء وهي مضطربة:

- أها، نـــزار.. (أبو النسوان)

فقالت سهاد وهي تركز نظراتها عليها بطريقة موحية:

- وهل هناك أحلى من (النسوان)؟

قبل أن تضيف بعد قليل:

(والهمس مباح كطيور بيض في دغل تتناقر.. والريش سلاح
حبات العقدين انفرطت من لهو، والنهد وشاح)

اختلط الأمر على هيفاء إذ لم تكن تعرف ما تفعله.. شـــعرت بخجل، ولكن سهاد كانت قد إزدادت اقترابا منها وراحت تربـــت على شعرها بحنان واضح، ابتسمت لها بوهن، فأنشدتها هذه:

(فاللحم الطفل، يخدشه في العتمة، ظفر سفاح
وجزازة شعر.. انقطعت فالصوت المهموس نباح
ويكسر نهد واقعه.. ويثور، فللجرح جراح..
ويموت الموت.. ويستلقي مما عاناه المصباح.)

عرفت أنها قد وصلت إلى النقطة الحرجة فها هي سهاد تتحدث عن نهد ولحم وعتمة! ولكي تزداد يقينا، كانت سهاد قد التصـــقت بها ويدها الممدودة من خلفها تمسك بكتفها البعيد عنها.. شـــعرت بدفء يتسرب إليها من جسد سهاد الملاصق.. تذكرت وجه سلمى المشمئز وهي تتحدث عنها.. تذكرت كل الأقاويل التي سمعتها عنها، ولكنها ولعجبها لم تشعر بالخوف ولم تشعر بغرابة الموقـــف، بـــل شعرت وكأن الحرارة قد تسللت من بين ساقيها وراحت تغزو أنحاء جسدها.. شعرت وكأنها مسلوبة الارادة إلى درجة أنها لم تستطع أن

تعترض حين بدأت سهاد تقبّل أسفل عنقها وتعض شحمة أذنها برقة جعلت شحنات كهربائية لذيذة ترتحل على طول عمودها الفقــري بسرعة وجنون.. همست سهاد بأذنها بصوت بدا لها كالفحيح وهي تكاد تعتليها:

(يا أختي، لا.. لا تضطربـــي انني لك صدر وجناح
أتراني كنت امرأة لتمضغ نهدي الأشباح
أشذوذ.. أختاه إذا ما لثم التفاح التفاح
نحن امرأتان.. لنا قمم ولنا أنواء.. ورياح)

شعرت وحواسها تكاد تتبلد بسبب الرغبة العارمة التي بـــدأت تتملكها، بحاجتها الى قول شيء.. أو أن تبدي إعتراضا في الأقـــل، ولكنها لم تجد في زحمة أفكارها المضطربة ما يقال، فلم تنتبه إلى أنامل سهاد الماهرة وهي تحرر زر قميصها الثالث لتمرر يدها الخـــبيرة إلى حيث تنتصب حلمتها المتحفزة!

عدت إلى حياتي الجديدة بعد التخرج وأنا متهيئة للجانب العملي منها التي كنت آمل أن أمسك بزمامها جيدا لكي أستطيع أن أسيطر على قدري أكثر.. ولكن، هل كان لهم أن يدعوني أفعل، طبعا لا، فمهمة أهلنا أن يخربوا لنا مخططاتنا.

بعد أشهر قليلة، ظهر (عواد) في حياتي.. عواد المدلل، ابن العائلة الغنية الذي اعتبره أهلي ضمانة أكيدة لحياة سهلة ورغيدة لي.. لم يهمهم فشله الدراسي، أو ما يبدو عليه من بله.. لم يأبهوا لنوعيته، ولا لرأيي.. فقط اعتبروه حظا طيبا، وفرضوه علي!.. تصور يا موت، والدي الذي اعتقدته طوال عمري مثالا للرجل الواعي والمتحرر، يقف مني ذلك الموقف ويختار لي (عريسا) بتلك الطريقة البائسة، وأي عريس!.. أنا لن أنسى ما حييت لقائي الأول به.. بل فجيعتي الأولى، عندما رأيت مقاييسه الشاذة.. أقصد مقاييس جسده، فقد كان قصير وبطين ولم أشك لحظة واحدة في أنه سيستحيل إلى مكعب ما أن ينمو كرشه أكثر.. لجأت إلى وجهه لعله ينجدني، ولكن شدة بياضه وشقرة شاربه الذي يكاد لا يرى أشعراني بالمزيد من الاحباط، ولم استطع إلا أن أتساءل مع نفسي "أين هذا الوجه من سمرة حبيب، وشاربه الأسود الكث؟!".. رفضته حال رؤيتي له، واعلنت ثورتي، ولكن احتجاجاتي لم تجد أذنا صاغية عند أهلي، فقد اعتبروا رفضي مجرد ردة فعل لأنهم سبق وأن رفضوا حبيب، فقرروا عني!.. منعوا عني

حق الاعتراض وأعطوا لأنفسهم حق القرار، ولم تمض إلا أشـــهر معدودات حتى وجدت نفسي زوجة لهذا الكائن الغريب المســـمى (عواد)!.

تزوجت عواد، ولا بد أن هذا يعني أنني قد حللت لغز ذلك (الشيء) أخيرا.. نعم لقد حللته، ولكنني لم أنتظر حتى ليلة الزفاف لأواجهه، فقد شاء سيدي الجديد أن يسرّع بلقائي به.. طلب مني ذات يوم أن أرافقه إلى البناء الذي علت جدرانه في حديقة بيـــت أهله الواسعة كبيت مستقبلي لنا، أنا وهو.. إدّعى أنـــه يريـــد أن يستشيرني في مسألة الستائر التي سنشتريها، فذهبت معه وكانـــت تلك هي المرة الأولى على الاطلاق التي يختلي فيها بـــي بالرغم من مرور أشهر على عقد قراننا.. عندما ضمّنا البناء المضمّخ برائحـــة الحداثة، لاحظت فورا تغييرات في تصرفاته لم ألحظها مـــن قبـــل.. حمرة وجهه.. بحة صوته وتأتأة في الكلام جعلته يبدو وكأنه يبـــذل جهدا هائلا ليركز على ما يريد قوله.. لم أفهم في البدء، ولكنه ما أن احتواني فجأة بذراعيه حتى فهمت، فتلقيت شـــفتيه المـــرتجفتين بشفتين مزمومتين.. لم يفلح لسانه في اختـــراق دفاعـــات شـــفتي المطبقتين باحكام، ولكنني لم أحاول أن أتخلص من حصار ذراعيه، فقد شوشت تلك الصلابة التي تحتك بأسفل بطني، تفكيري.. أهو ذلك الشيء.. وما قد تكون غيره.. هل كنت مســـتثارة؟.. هـــل هاجني الشبق؟ لا أستطيع أن أجيبك يا صديقي، فقد اختلطت في حينها مشاعري ولم أعد أعرف ما أريد، أو أعرف كيف أتصرف.. كان يردد وهو يحاول ثقب ملابسي بشيئه "لا تخافي يا حبيبتي فقد أصبحت زوجتي"، فيما كنت أتساءل مع نفسي كيف ســـيفعلها،

فقد لاحظت فور دخولي خلو المكان من سرير أو فراش.. أكـان يريد أن (يبطحني) على هذه الأرض المتربة، بـين مـواد البنـاء المتراكمة من حولنا؟!.. لم أجرؤ على سؤاله، ولكـنني رفضـت السماح للسانه بالتسلل إلى فمي.. ولكن ذلك كان إلى حين، إذ لم أكن مؤهلة بعد لأصمد طويلا.. ولكن صدقني أنني قد قاومـت.. قاومت ببسالة، ولكنه الجسد يا صديقي.. الجسد حين يتآمر علينا مع مشاعر الكبت والشعور بالحرمان.. لم أفكر بكيف سيفعلها ولا أين، فقط وجدت نفسي فجأة مشغولة بكيف سألقاه.. ألقى ذلك الشيء الذي حيرني لسنوات طوال.. أيقنت أنني ملاقيـة إيـاه لا محالة بعد أن سمحت للسانه أن يلج فمي، وقد لاقاني، ولكـنني لم أره.. لاقاني واخترقني من دون أن أراه، فقد أدارني (فحلي المبجل) وجعلني استند على الحائط بيدي وسحب وسطي باتجاهه.. سمعت صوت ملابس تنـزع! بدأ الهواء يداعب مؤخرتي، شعرت بخـط دفاعي الأخير وهو ينـزع.. ثوان طالت كـثيرا!.. ألم خفيـف ولاسع، شيء ما يقتحمني، صوت لهاث، ودمدمة لم افقـه منـها شيئا.. تسارعت الأشياء.. بدأ يدفعني بعنف باتجاه الحائط، صوت وكأنه قباع خنـزير، صرخة مخنوقة، ثم حلّ الهدوء!.

لم يكن ما يظهر على وجه همام المضطرب، الذي تراه كلما أطلّت حزمة ضوء على داخل السيارة المظلم، هو ما يشغل بالها، بل كان ذلك البلل الذي بدأت تشعر به بين ساقيها، هو السبب.. التزمت الصمت والسيارة تقضم مسافات من شارع الخط السريع شبه الخالي، بسرعة.. كانت في تلك اللحظات تفكر بما حدث منذ أن وطأت قدماها أرض بغداد التي عادت إليها بعد سنوات من فراق وهي مصممة على ما أتت من أجله.. تصورت أن كل المطلوب منها هو أن تسمح لرجل غريب باختراقها لكي يكتمل انتقامها، ولكنها ما أن رأت همام الذي كان ينتظرها أمام المول بعد أن فارقت هديل، حتى أدركت أنه سيكون له شأنا أعمق معها.. بدا لها أصغر سنا مما كان يبدو في صوره على الفيسبوك.. أوسم ووجهه أكثر براءة!.

خلال تبادلهما الحديث في المقهى الذي لجآ إليه لأنها رفضت أن ترافقه في سيارته منذ أول لقاء، بدا لها لطيفا جدا ومؤدبا، الأمر الذي أربكها وبلبل أحاسيسها وشعرت لأول مرة بأن حماسها قد قلّ لفكرتها التي عملت على هديها منذ أن امتلكتها بذرتها.

لاحظت أن أضواء الشارع قد اختفت من حولها، ولم يعد ثمّة غير ضوء السيارة في الخارج وهو يحاول شقّ حجب العتمة المسيطرة على الدرب الذي يسيران به.. فجأة، رأت جنديا مسلحا واقفا في وسط الشارع ومحاطا بإطارات سيارات قديمة وصفائح وأشياء كان واضحا أنها جمعت من مخلفات الشوارع.. لم تسمع ما قاله لهمام

حين توقفت السيارة بقربه، ولم تفهم ما دمدم به همام مجيبا، ولكن نظرة الجندي إليها أشعرتها بالانزعاج.. بل بخوف، ولذلك قالت لهمام بصوت حاولت أن يكون حازما، بعدما ابتعدا عن السيطرة:

- إياك أن تفكر بذلك يا همام!

لم تستطع أن تتبين ملامح وجهه، ولكنها شعرت بارتباكه حين قال وهو يكاد يتلعثم:

- آسف يا عزيزتي.. أنا فقط لم أنتبه.

ابتسمت في سرها لوضوح كذبته عن الانتباه، ولكنها حين بادر إلى الاستدارة بالسيارة ليعود بها إلى حيث الأضواء التي تركوها، شعرت بالعطف عليه.. قالت:

- إن كنت (ملهوفا) إلى هذه الدرجة، فلِمَ لَمْ تحسب حسابك؟!

قال هو بعد ثوان:

- لم أتوقع هذا التطور!

ثم اضاف بعد ثوان أخرى:

- أنت تفاجئينني في كل لحظة!.

ضحكت بصوت مسموع وقالت:

- أنا عراقية محسّنة.

فضحك هو الآخر وقال:

- (محسّنة ونص).

أدركت أنه لم يفهم قصدها فقالت:

- قصدت أن أمريكا قد اضافت إلي الكثير.

- أها.. فهمت.. شكرا لأمريكا.

ضحكت بصوت خافت هذه المرة وقالت:

- والآن.. ماذا تنوي؟
- لا أعرف حقيقة يا فاتن، لو توقعت لتمكنت من تأمين مكان لنا فهذا سهل علي.. فقط أنا لم أتوقع.
- لم تتوقع، أم لم تحلم؟
- بل كنت كلي حلم، وهل هناك أحلى من هذا الحلم.

فضحكت مرة أخرى لقوله، ولكنها لم تحاول أن تعلق لأنها شعرت بأن (بللها) قد زاد فحمدت للظلمة سترها، فقد تصورت أن ذلك البلل قد اخترق قماش (بنطلونها) وكان ليراه لو كان ثمة ضوء في داخل السيارة.. كانت تريده بشدة في تلك اللحظات بعد سنوات الحرمان الطويلة التي عانتها، ولكن أن يفعلاها في السيارة وفي تلك الظروف كان أمرا مستحيلا بالنسبة لها.. قالت بجرأة بدت لها غريبة على مسامعها:

- أما من حل؟

فرد بصوت تكاد نبرة البكاء تكون واضحة فيه:

- الآن.. مستحيل.. لا أستطيع تدبير شيء.

راح عقلها يدور بسرعة وبراكين رغبتها تكاد تنفث حمما حقيقية.. كانت تفكر بحل سرعان ما بدا لها أنه موجود.. وسهل.. كان متوفرا ببساطة ولكنها لم تنتبه.. شعرت بسعادة غامرة وقالت فورا:

- وإن حللتها لك؟

فلم يقل غير:

- (أبوس إيدچ)



فضحكت وقالت:

- (عند عيناك).. فقط قُدْ.

ثم عادت إلى أفكارها لتطمئن إلى صحة قرارها.. كانت أمها منذ وصولهما إلى بغداد تنام مبكرا جدا بعد أن يأخذ منها التعب كل مأخذ من مشاوير النهار.. تلجأ إلى الفراش مع غروب الشمس وهي تلعن (الساعة البيولوجية).. وكذلك كان حال خالتها العجوز التي استقبلتهما في بيتها الذي تسكنه لوحدها، كانت تنام مثل (الدجاج) كما تقول عن نفسها.. وهكذا حلت المسألة.

جعلته ينتظر في السيارة التي اوقفها أمام البيت بعدما دلته عليه.. فتحت الباب بالمفتاح الذي أعطتها إياه خالتها لتستخدمه عندما تعود متأخرة أحيانا.. اخترقت الصالة المظلمة مسرعة، وصعدت السلم وهي تكاد تسمع دقات قلبها الوجب.. لم يطمئنها سماعها لشخيرهما حتى قرّت عيناها برؤيتهما نائمتين كتمثالين.. اسرعت إلى الغرفة الملاصقة حيث أبدلت بنطلونها المبلل بتنورة تتناسب مع الأمر الذي عزمت عليه.

نزلت مسرعة إليه ودعته للدخول.. لم تنر أضواء الصالة بل وقفت تنتظره حتى أغلق الباب من ورائه والتفت إليها ليحتضنها ويلتقم شفتيها فورا.. اندمجا في قبلة طويلة كاد خلالها أن يلتهم شفتيها الملتهبتين شبقا.. كان يحتضنها بشدة جعلتها تشعر بصلابته على بطنها، وما أن أرخى ذراعيه من حولها حتى ذهبت إلى الأريكة لتستلقي عليها، ولكنه قال بصوت هامس وأجش:

- لا أرجوك.. لا أريد أية مفاجآت.

قالت بهمس هي الأخرى:

- ماذا تقصد؟!



لم يجبها، بل اقترب منها ليسحبها من يدها التي استسلمت له..
ذهب بها الى منتصف الصالة حيث أمكنها أن ترى درجات السـلم المضاء وهناك أدارها برفق وجعلها تنحني علـى الطاولـة الصـغيرة المنخفضة.. فهمت، وأمتثلت.. تعجبت من نفسها وهي تـنحني إلى الأمام إذ لم تتصور أنها يمكن أن تتخذ ذلك الوضع بهذه السـهولة في مثل هذه الظروف!.. ومع مداعبة صوت حفيف تنورتها وهو يرفعها إلى الأعلى، لأذنيها، أغمضت عينيها!.

تزوجني عواد.. بل امتلكني بالأحرى لأن الزواج عقد بـــين اثنين، وأنا لم أكن موافقة، وازداد رفضي له بعدما فعله بـــي، فقد زرع بذرته في داخلي وأنا واقفة في ذلك البيت الذي لم يكتمـــل بناؤه.. فاتتني الدورة فأبلغته.. كاد يجن فأسفر عن وجهه الحقيقي، فقد ثار عليّ، واتهمني بكل باطل تبادر إلى ذهنه المريض في حينـــه، وكأنني أنا الذي وجلته في ذلك المساء الذي خلد كئيبا في ذاكرتي، لا هو!.. الحقيقة هي أنني عندما تأكدت من حملي، فرحت، ولم لا أفرح وقد نلت ما أبتغي شرعا، أليس هو من زوجي الـــذي أزال بكارتي بـــ (محراثه)؟.. هو قال لي ذلك عندما كان يريد اجتياحي، ولكنه رفض أن يستمع إلى كل توسلاتي للإحتفاظ بالجنين الـــذي بدأت نبضاته تتردد في أعماقي.. كان نتاج ذلك الاجتياح، ولكن تبين لي أنه كان آثما، حسب مفاهيمه هو التي تكشّف عنها.. رفض نهائيا أن أحتفظ به، فعبرت عن استغرابـــي، قـــال "مـــا نقولـــه للناس؟".. فأين كنت من الناس حـــين (صـــخمتني)؟، يقـــول لي التقاليد، الأعراف.. أية تقاليد وأعراف يا ابن الخاسئة وأنا شـــرعا زوجتك كما قلت؟.. يخذله منطقه، فيرتفع صوته.. يصـــرخ!.. آه يا موت كم كنت غبية وأنا أحاول أن أدفع بحق الشـــرع باطـــل الأعراف.. بل كنت جاهلة لأنني لم أعرف قبل ذلك أن الأعراف في مجتمعنا أقوى من الدين نفسه!.. أصرّ على اسقاط الجنين، فجن جنوني لتولد حينها (هديل) أخرى لم أكـــن أعـــرف بوجودهـــا..

أرعدت وأزبدت، ولكن الخوف من الفضيحة ألجمها في النهاية، لا الفضيحة أمام الناس، بل أمام أبيها الذي لم يسمع بكل ما حــدث لها.. اتفقوا هو وأمه مع والدتي على أن أبات عندهم ليلة بحجــة ترتيب أمور بيتنا المستقبلي، فاستباحني بذلك مرتين بنفس الحجة! إذ أخذوني في عصر ذلك اليوم إلى تلك العيادة الرهيبــة.. مجــرد صعود سلمها الحقير بدا لي كأنه كابوس، ولكن ما أهونــه مــن كابوس إذا ما قيس بما عانيته داخل العيادة، بل قل الماخور المليء بالدنس والقذارات، ذلك كان إنطباعي عنــها والــذي أكدتــه (الدكتورة) نفسها.. يا لله، دكتورة!.. كانت بشــعرها الأشــقر، المصبوغ طبعا، و(ماكياجها) الذي تحاول أن تخفي به قبح وجههــا العجوز، فزادته قبحا، تشبه أي شيء إلا أن تكون طبيبة.. حــين أقبلت عليّ، شعرت بها (گوادة) لأنها كانت تشبه (المعلمــات) في الأفلام المصرية.. أقصد المعلمات في الملاهي والكباريهات اللــواتي يخاطبهن المخنثون بــ (يا أبلتي).. معلمات (الهشك بشك)، ولكن آه لو تعرف ما فعلته بــي هذه الــ (گوادة) وهي تدخل أدواتهــا المعدنية في (فرجي).. كنت اشعر بالألم بــين ســاقي وفي بطــني، بل حتى في رأسي الذي كاد ينفجر.. أصــرخ فــتكمّم (عمــتي) فمي، بيدها، وهي ترمقني شزرا.. السافلة.. العــاهرة.. القــذرة، ترمقني شزرا وكأنني أنا الذي أفقد ابنــها القمــيء، بكارتــه.. آه كم تمنيت لو عضضت يدها في حينه.. أن أفتح عليهــا نــيران شتائمي، ولكنني جبنت.. تبا لي.. لقد جبنت وخنعت، فتنازلــت عن جنيني.. افقدوني إياه.. قتلوه وأنا صــاغرة!.. ليعيــدونني إلى البيت جثة هامدة.

بعد أشهر، تزوجنا، وقد حاولــت جاهــدة أن أمثــل دور العروس في ليلة (الدخلة) ولكنني لم أستطع.. فشلت، فقد أبى وجه الــ (گوّادة) أن يفارق مخيلتي، وكذلك النظرات الخانقــة الــتي رمقتني بها (عمتي) العاهرة.. تذكرت طفلي القتيل فأبت نفسي أن تسامح ابن (الديوثة) الذي يمتطيني، رفضته من كل قلبــي رغــم أنه كان قد نجح باختراقي.. انتظرت حتى انتهى من غزوته المظفرة، وانــزاح عني، لأدير له ظهري وأمثل دور النائمة فيمــا كانــت الدموع تنهمر من عيني بصمت.

بعد ذلك تعودت أن أدير له ظهري حال مجيئه إلى السرير.. كان يغضب أحيانا فيثور ويعربد، ويلجأ أحيانا إلى اللين والغــزل والتوسل، ولكنني لم أستجب له.. لم أرحم توسلاته، فكان يضــطر لنيل وطره مني وأنا بذلك الوضع.. آه يا موت، أحيانا أشعر بأنني أضجرك بقص أحزاني عليك، ولكن هذا ما حدث لي ولا حيلة لي في الأمر، ولكنني في هذه اللحظات لا أريد أن أحزنك أكثر رغم رغبتي في الاستمرار بالتحدث إليك.

جمّاره فؤاد

هلو عواد

هلوووووووووووووو جماره

هاي وينك

اشو ماكو

واله مشغول يا جماره

شكو

تجاره جديده

لا واله مشاكل

مشاكليش لاسمح الله

هيج

عاءليه

شكو

مو كلتلج عاءليه

اي احجيلي

بلكي اكدر اساعدك

لا شتساعديني

مشاكل وية مرتي

شبيهه

اتسويلي مشاكل هوايه

مشاكليش

اخاف ما دداريك

يعني

هم هيج

اها

افتهمت

اشتغلت الحرشه

حرشتيش

تتحارش بيه

هههههههههه

ليش حرام الحرشه

ههههههههههه

ديله شوكت نلتقي

يا ريت

بس غير انت ما خطبتني من اهلي

شخطبج

مو كلتي متزوجه

شكو بيهه

اطلك رجلي

صدك

ليش لا

كس اخته

لا خطيه

هاااااااااااا

لعد بس تريد تلعب

ليش اللعب مو حلو

~~ههههههههههه~~

هسه كولي

شنو

شنو مشاكلك ويه مرتك

عوفينه منها

ليش

فد يوم احجيلج

الحجي هوايه

هسه ما عندي واهس

بكيفك

اني رايحه

وين

عندي شغل

لعد ليش حجيتي

هيج

بس ردت اسلم

عليكم السلام

موتي يا موتي العزيز، أريد أن أحدثك اليـــوم عـــن (غـــزوة الشيراتون).. فأنا لم أكن ملاكا قبل الزواج إن ظننت ذلـــك، أو لعلي كنت ملاكاً وإن فعلت تلك الأشياء، لا يهـــم، المهـــم هـــو أنني أريد أن أبوح بهذا لك، فأنت على كل حـــال لـــن تكشـــفه لأحد.

كان ذلك خلال دراستي الجامعية.. في الســـنة الثانيـــة.. أو الثالثة.. لم أعد أتذكر.. في تلك الليلة كنت أستعد للإمتحانات مع سهى ونهى في بيت أهلهن.. كان أهلي يسمحون لي بالمبيت هناك معهن.. سهى كانت معي في مرحلتي فيما تتأخر عنا نهى بمرحلة.. والوقت يقترب من منتصف الليل قالت نهى فجأة:

– لااااااااا بدأ شرفي يثقل عليّ.

عرفنا أنها في سبيلها إلى بدء جولة من العبث والمجـــون الـــتي تعودت عليهما أحيانا.. إلتفتنا إليها مبتسمتين.. قالت:

– ما رأيكن لو (استگحبنا) قليلا؟.

صفقت سهى مهلهلة وكأنها كانت تنتظر هذا بلهفة، فيمـــا نظرت أنا بلا وعي إلى الهاتف القريب وقلت:

– هاته لأشعلهم شبقا.

فاذا بهن يغرقن في الضحك، وراحت سهى (تتمرغل) علـــى السجادة.. قالت نهى وهي تغالب قهقهاتها:

– أهذا أقصى ما عندك يا مسكينة.. يا لك مـــن (گحبـــه فاشلة!.



وحين عبرت لهما عن جهلي بما تقصدانه، سحبتاني من يـــدي إلى غرفة سهى، فاستجبت.. وسرعان ما ظهرت الملابـــس مـــن الدولاب.. أمرتاني بأن ألبس ما تعطياني، وحين استفسرت، أمرنني بأن أخرس وأنفذ فقط.. لبست قميصا و(تنورة) قصـــيرة جـــدا، ولكن تحتها (بنطلون).. قالت سهى:

– هيا.

غادرنا البيت من باب المطبخ متسللات لأن أهلهما كـــانوا نائمين.. فتحنا باب الحديقة ورحنا ندفع سيارتهم حتى ابتعدنا بهـــا عن البيت لتجلس سهى في مكان السائق وتدير المحرك.. صـــعدنا، فانطلقت بنا في ليل بغداد البهي.. بقيت أسألهما "إلى أين؟" ولكن لا مجيب.. فقط أمرتاني بعد أن اطمئنتا إلى خروجهن من المنطقـــة، بأن أخلع البنطلون كما فعلتا بمهارة.. شعرت عندها بخوف، لأننا مع (الماكياج) الذي وضعناه بدونا كعاهرات في تلـــك الســـاعة المتأخرة.. خفت قليلا، ولكنني امتثلت.

لم أعرف أين أنا حتى رأيت فندقي الميريـــديان والشـــيراتون المتقابلين في قلب بغداد.. تساءلت مع نفسي إلى أيـــن تأخـــذاني، ولكن الإجابة سرعان ما أتت حين دخلـــت ســـهى إلى مـــرآب الشيراتون بسرعة كأي سائق محترف.. نـــزلت معهما وأنا أكـــاد أتعثر، تصور يا موت، بنات عراقيات لوحدهن في تلك الســـاعة يحاولن أن يخترقن ذلك الصرح الهائل.. توقعت أن يرمينا الحـــرس بالنار حال رؤيتهم لنا، ولكنهما شجعتاني على الـــدخول بثقـــة، والغريب أنني لم أر مسلحا يوقفنا في الباب، وفي الداخل اســـتقللنا المصعد، لأجد نفسي حـــين توقـــف، في (ديســـكو) الفنـــدق

الصاحب!.. إلتفتت إلينا الأعين وتلقانا النُدُلْ.. قادنا أحـــدهم إلى طاولة قريبة ووقف مبتسما.. ٬
إلتفتت إليه نهى وقالت بجرأة:
– آتنا بثلاث زجاجات من البيرة.
تساءل الشاب:
– شهرزاد؟
فقالت سهى على الفور:
– بل شهريار.. آتنا ببيرة شهريار فهي أفضل.
ابتعد الشاب مبتسما فيما التفتت إلي سهى لتقـــول بطريقـــة موحية جدا:
– أية شهرزاد.. أريد شهريارا.. آتوني بشهريار.
ضحكنا، فزاد عدد العيون التي تراقبنا.. ارتبكت ولكنهما لم تأبها، بل إزداد صخبهما حين جاء النادل بالزجاجات والأقـــداح، وراحت نكاتهما تتوالى على الشكل المغري للزجاجات الصـــغيرة وإمكانية استخداماتها المتعددة! حتى أجبرتاني علـــى مشـــاركتهما صخبهما وعبثهما.
كانت الجرعة الأولى من كأس البيرة كارثية، فقـــد شـــعرت وكأن مذاقها هو الأسوأ الذي مر ببراعم التذوق التي امتلكهـــا، طوال حياتي.. لعنت كل الرجال الذين قالوا عن البيرة أمامي أنهـــا لذيذة.. ما عدا أبـــي طبعا، وكدت أفرغ المتبقي من الكأس على الأرض لولا أنهما منعتاني.. بل شجعتاني على الاســـتمرار علـــى أساس أنني سأتعود على المذاق لأعبر بعدها إلى مرحلة الانتعـــاش الموعودة.. أكملت الزجاجة الأولى بسرعة وكأنني كنت أســـابق

نفسي لكي أتخلص منها، ولكن النمل بدأ بالدبيب في وجهي بعد منتصف الثانية، وراحت الأنوار الخافتة للقاعة تدور ببطء أمام ناظري.. شجعتني هذه النتائج على الاستمرار بتحمل الطعم الرديء لهذا المشروب السخيف.

كنت قد لاحظت اهتمام رجل يجلس في الجهة المقابلة بي.. أو هكذا تهيأ لي، بعد بدء صراعي مع الزجاجة الأولى.. كنت أنظر باتجاهه لاشعوريا بين الحين والآخر فيبدو وكأنه لا يزال مهتما بي.. لم أستطع أن أتبين ملامحه في شبه الظلمة تلك، ولكن ألا يكفيني أن أكون هدف نظرات رجل؟.. كان الرجال يتهافتون على منضدتنا خلال ذلك الوقت وهم يطلبون منا الرقص.. رفضت سهى ونهى كل العراقيين والعرب، واستجابتا لأول أجنبيين تقدما لهما.. كنت أصارع الزجاجة الثالثة وأنا أراقبهما ترقصان وتمرحان على خشبة الرقص في منتصف القاعة الصاخبة، فخطر في بالي أن أشجع معجبي المجهول.. لم يكن يهمني من أين هو.. أو ليس رجلا؟.. ألا يمتلك المدق المرغوب؟.. أرسلت ابتسامة باتجاهه فلم يطل انتظاري، لأنني سرعان ما رأيته متجها نحوي.. دق قلبي بعنف، وتوترت أعصابي.. ترى كيف سيبدو حين يقترب؟.. بارك ربي لأمتكَ المسكينة برزقها، وأجعله فاتنا، هكذا ناجيته وأنا بحالة السكر التي أنا فيها.. بدا حين قام من مكانه فارع الطول وبصدر عريض، وهذه بشارات خير، ولكنني كنت مشغولة البال بوجهه، كما يجدر بأية فتاة غريرة!.. عندما إقترب وانحنى علي ليطلبني للرقص، بلغة بدت لي هجينة جدا عرفت منها فورا أنه أجنبي.. رأيت عينيه، فكدت أصرخ..

يا لله كم كنت أحب (فرانكو نيرو).. لقد أغرمت به منذ كنت في الابتدائية، فكنت أذهب إلى دور السينما لمتابعة أفلام (الكاوبوي) رغم أنني لم أكن أحبها، لمجرد أن استسلم لسحر عـــيني فرانكـــو الزرقاوين حين تركز عليهما (الكاميرا).. وهـــاهو الآن يطلـــبني للرقص.. حرصت حين أصبحنا في الحلبة أن أقول لســـهى الـــتي كانت ترقص مع رفيقها الأجنبـــي:

– انظري إلى عين هذا (المنيوك).. (اليوم الا..).

مع انطلاق قهقتها، قابلته.. كانت الموسيقا صـــاخبة، وكـــل المطلوب مني هو أن أواجهه وأهز جسدي كيفما اتفق.. هـــززت وتمايلت ورقصت وأنا أكاد ألتهمه بعيني بعدما أطار السكر كـــل خجلي، وكان هو يتطلع إلي مسرورا.. كنت غريقة ببحر عينيـــه، وأزداد غرقا كلما اقترب بفمه من اذني ليقول شيئا.. عرفت منـــه أنه ايطالي، ولم أعد أتذكر الآن اسمه.. كنت في قمة السعادة، فحتى ان لم يكن فرانكو ففي الاقل هو ايطالي مثله.. حين بـــدأت أميـــز الشهوة العارمة في نظراته وهو يعاملني رغم ذلك بأقصى درجات الرقة، شعرت وكأنني مفعمة بأنوثتي، فللمرة الأولى يتعامل معـــي رجل كامرأة، لا مجرد فرج يريد أن يلجه كما كنت أشعر من قبل كلما تعرضت للتحرش في الشارع.

حين تحولت الموسيقا إلى (سلو)، لم أتردد، بل سمحت له بـــأن يمسك بيدي، ويطوق بيده الأخرى خصري.. احتضـــنني كســـيد محترم والفرح يتقافز من عينيه.. كانت البداية هذه المـــرة صـــعبة لأنني لم أكن ضليعة بهذا النوع من الرقص، ولذلك رحت أتبعه في خطواته التي بدت لي رشيقة، وحين شعرت بالثقـــة بعـــد حـــين،

ارتبكت خطواته.. حيرني أمره، ولكنني سرعان ما فهمت، فقد سحبني إليه وشعرت بصلابته على بطني.. إذاً فقد تملكك شيطان الشبق يا مسكين.. "أنا لا أعرف ما الذي يدور في ذهنك عني، ولكن آه لو تدري كم أنا مسكينة ايضا رغم الإثارة الهائلة التي بدأت أشعر بها".. كان يضمني إليه بقوة، فيما راحت شفتاه تجوسان بشرة رقبتي، ويده الممسكة بخصري تنزل ببطء حتى أمسكتا إليتي.. بدأ يهمس في أذني كلمات مضطربة لم أفهم منها غير كلمة (روم).. كان يتوسلني أن أذهب معه إلى غرفته، فلم أتردد في قول كلمة (نو) واضحة بالانكليزية.. توسل أكثر، فقلت له بالعربية.. "ألم تفهم بعد يا غبي؟.. انت تكلم فتاة عربية.. شرقية، وطبعا لن أذهب معك إلى غرفتك بموافقتي.. بجمالك الوحشي أنت تهدد أعز ما أملك.. أحقر ما فرض علي.. أنت تهدد صمام الأمان في حياتي القادمة يا ابن العاهرة.. افهم".. حين توسل إلي أن أكلمه بالانكليزية، لم آبه.. بل واصلت باصرار قائلة.. "هيا احملني على كتفيك القويين هذين.. خذني فورا إلى غرفتك واغتصبني، فأنت لن تنال مني شيئا إلا بالاغتصاب، فهيا اغتصبني بكل ما تمتلك من رجولة.. اغتصبني أرجوك".. كان هو خلال ترديده لكلمة (روم) بين الحين والآخر برتابة، ينقل يده المسافرة عبر تلال مؤخرتي، إلى الأمام.. واصلت "أنت حمار.. لم تعرف بعد أن حلم كل فتاة شرقية ابتليت ببكارتها هو أن تغتصب.. هيا احملني ولنذهب".. كان قد رفع تنورتي ببطء وهو يحاول أن يستر عريي الجزئي بجسده.. لم أعترض، بل شجعته بابتساماتي المناقضة لفحوى كلامي.. أمسك بـ (كتكوتي) فأقشعرت (ريشاته)..

أصابني دوار وكدت اسقط لولا أنه أسندني بيـــده القويـــة.. راح يبلل اصبعا له بعصارتي التي تجاوزت سروالي الداخلي ويضـــعه في فمه ليمتصه بطريقة مثيرة جعلتني أعض صدره.. ابعدني عنه وهـــو يضحك.. كدت أن أقول له "هيا إلى الغرفة" بأبلغ لغة انكليزيـــة أتقنها، لولا أنني تداركت أمري في آخر لحظة.. شـــعرت عنـــدها بالخطر الذي كان يتهددني فرحت أحاول مقاومة سكري لأستعيد توازني، ولكنه لم يمهلني، بل طور هجومه إلى حد أن أصابع يـــده بدأت تحاول اجتياز حاجز سروالي الداخلي.. ففقدت عندها القدرة على التفكير، وادركت بشبه يقين أنني فاقدة بكارتي هناك.. بـــين الناس.. وفي تلك الزحمة.. كدت أسترحمه، لولا أن أصابع ســـهى طرقت كتفي وهي تقول لي إن أوان الانسحاب قد آن.. قلت له أنني مضطرة للذهاب، ولكنه ضمّني إلى صدره بقوة أشد.. دفعتـــه عني، وتخلصت من أسره، ثم انطلقت مع الأختين لا ألـــوي علـــى شيء!.



كان ملل الانتظار ينتابها وهي تنتظـــر حيّانـــاً الـــذي تـــأخر حسبما شعرت، حينما دخل عليها رجل بدا عليه الحزن، وعمّـــت ملامحه الاضطراب الذي كان يشعر به كما يبدو.. بدا لهـــا وكأنـــه في العقد الرابع من عمره، يميل إلى البدانة مع طول معتدل.. وهـــي تنظر إليه متقدما نحوها، دخلت فتاة من بعده.. هالها وجهها المحايـــد الكليم، شعرت بها وكأنها قد بلغت مرحلة من اليأس حـــتى افتقـــد وجهها إلى التعابير التي تفصح عـــن حقيقـــة مشـــاعرها، فانثالـــت الشفقة من حناياها.. قدم لها الرجل الوصفة الطبية التي كان يحملـــها فقالت:

- عفوا أخي، لأرى حاجة الآنسة أولاً.

نظر هو إلى الخلف ثم التفت إليها ويقول:

- هي معي.

فشعرت بخجل خفيف وقالت:

- آسفة.

لم يزد على أن هز برأسه علامة تفهمه.. عرفت منـــذ النظـــرة الاولى أنها أدوية لمعالجة حالات نفسية، وانبأها يقينها أنهـــا كانـــت لتلك الفتاة المسكينة.. حضرّت الأدوية بسرعة، وقدمتها إلى الرجـــل بعدما أخبرته بالثمن المطلوب.. أنقدها المبلـــغ ثم التفـــت ليخـــرج مصطحبا معه الفتاة التي بقيت تنتظره بالقرب من الباب.. تابعتـــهما بنظرها وهما يخرجان.. في اللحظة الأخيرة، استدارت الفتـــاة لتنظـــر

إليها، فابتسمت لها مشجعة لأنها شعرت وكأنها تستنجد بها، ولكن قلبها آلمها، فكادت تصرخ بالرجل أن يتوقف لتستجلي بنفسها ما تعاني منه تلك المخلوقة المحطمة كما شعرت، ولكنها لم تجرؤ، بل توقفت في مكانها لتراقبهما وهما يختفيان عن ناظريها.

شعرت بحزن كبير ينتابها، وتهيأت دموعها للفرار من عينيها المغرورقتين لولا أن حياناً قد ظهر فجأة، فكبتتها فورا ورنت إليه..

قال لها حين اقترب:

- الحزن واضح عليك.

حاولت أن تبتسم قبل أن تجيب ولكنها لم تتمكن إلا من زمّ شفتيها.. قالت:

- لا أعرف.. كانت عندي فتاة قبل قليل.. أتت مع رجل يبدو أنه أباها.. كانت تبدو حزينة بقدر ما هي مريضة.. أشعرتني بحزن كبير حتى كدت أبكي.

قال حيّان:

- كم أنت طيبة؟!
- ومن أين عرفت؟!

فضحك وقال:

- أعرفك.

فابتسمت له ولكنها قالت مصرة على ما يشغل بالها:

- المسكينة، تبدو وكأنها تعاني من مشاكل عصية على الحل.
- ما مشاكلها يا ترى؟
- لا اعرف! ولكنها تعاني.. هذا واضح.

تمعن هو في وجهها قبل أن يتساءل:

- قولي لي يا هديل، هل يتولد عندك فضول دائما تجاه خصوصيات الناس.

فقالت بحرارة وكأنها تدفع عن نفسها إتهاما خطيرا:

- هو ليس فضولا.. هو تعاطف بحت.

ابتسم لها وقال:

- أصدقك.

لم يبد عليها أنها قد انتبهت لما قاله، بل قالت فجأة:

- أتعرف شيئا.. لطالما سألت نفسي السؤال الذي سالته أنت للتو!.

ثم سكتت قليلا لتفكر قبل أن تكمل:

- لكنني هذه المرة متأكدة.. لقد اشفقت عليها مما بدا عليها من هم ثقيل.. ولكن.. أهي مصادفة أن تسألني في كل مرة عما يدور في خاطري بالضبط؟!

ابتسم لها مرة أخرى وقال:

- هذا لأنني بتّ أعرفك.

- لا.. الأمر أكبر.. هل لديك المقدرة على قراءة أفكاري؟.

فقال ضاحكا:

- لم لا.. فقدراتي غير محدودة.

- ولكن هذا مستحيل!

- لم مستحيل؟!

- لأنك كلما حدثتني، تعبر عن فهم كبير لي.

- هذا لأنك شفافة.

شعرت بفرح غامر حين سمعت ذلك، الأمر الذي ساعدها على تجاوز حالتها النفسية السيئة.. ابتسمت وقالت:

- أو لعلك عبقري.

فابتسم هو الآخر وقال:

- لا بأس.. سأتقبل هذا.

فضحكت هذه المرة، قبل أن تفكر قليلا وتقول:

- آسفة لأنني كنت كئيبة مؤخراً.

- أنا موجود من أجلك هديل.

ولكن بدا عليها وكأنها لم تسمع ذلك وهي تقول:

- رؤية هذه الفتاة كأبتني.. المسكينة!

- هل رأيت فيها شيئا منك؟

فوجئت تماما بقوله.. ملأتها الشكوك، ولكنها تساءلت:

- ماذا تقصد؟!

فابتسم لها وقال:

- لا أقصد شيئا طبعا، ولكن اهتمامك بها يفصح عن شيء متميز فيها بالنسبة إليك.

نسيت شكوكها فورا وقالت وهي ساهمة:

- لطالما تمنيت أن تكون لي ابنة، وحين رأيتها على حالها هذا تساءلت مع نفسي إن رأيت ابنتي بهذا الحال فماذا أفعل.. سأموت حتما.

فقال بصوت بدا فيه العطف واضحا:

- الكل يموتون، فلا تخافي.

نظرت إليه بتمعن وتساءلت:

- وما الذي ستفعله إن متُّ؟

فابتسم لها وقال:

- سأنتحر طبعا.

عرفت أنه يمازحها، فاغتصبت ابتسامة لتقدمها له وهي تقول:

- أنت كذاب.

- و لم كذاب؟

فردت ضاحكة:

- لأنك مجرد انسان تافه، لا يمكنك أن تحب بهذه الطريقة.

فاعتدل بوقفته، ورتّب قميصه بطريقة مسرحية وقال:

- وهل أبدو لك تافها؟

فطفح عندها حبها، برقت عيناها وقالت بحرارة:

- بل أنت أروع الناس يا حبيبـــي.

فضحك وقال متجاهلا قولها:

- أنا ذاهب.

تابعته بعينيها وهو يغادر.. قبل أن يصل إلى الباب، دخل زبون، فعجبت حين تجاوز كل منهما الآخر من دون أن ينظر إليه!.



تعوّد (بعلي) العتيد على الطريقة التي فرضتها عليه.. عندما يأتي إلى الفراش، أدير له ظهري وأرفض دعواته لمواجهته فيضطر إلى الرضا بما تيسر له فلا يعود الأمر بالنسبة لي غير خوار أسمعه، سرعان ما ينتهي بتنهدات وصرخات مخنوقة قبل أن تعم فترة صمت يقطعها شخير.. وأي شخير، فأبقى مسهدة أبلل وسادتي بدموعي، حتى يهدني التعب فأنام.

أتعرف شيئا يا موت؟ كنت أتصور أن الرجل والمرأة يجب أن يكونا في الوضع الطبيعي لكي يثمر إتصالهما عن طفل.. كنت أعرف أن الأمر يحتاج إلى رجل وامرأة لفعل ذلك لأنني لم أبلغ من السذاجة حدا يجعلني أصدق بقية (السيناريوهات) التي يقصها بعض الأهالي على بناقم عندما يسألن عن الأمر، ولكنني تصورت أهما يجب أن يكونا في الوضع (الرسمي) على السرير لكي يتم ذلك.. المرأة تحت والرجل فوق.. هذا هو الذي يجب أن يكون، ولذلك شعرت باستغراب شديد حين عرفت بحملي اثر ذلك الوضع الشاذ الذي سلبني خلاله بكارتي، ولا أخفيك يا صديقي، فرغم غضبي الشديد عليهم بسبب ما فعلوه بي، فأنني في أعماقي شعرت براحة لأنني تصورت أن طفلي لن يكون طبيعيا إذا ما ولد بسبب طريقة زراعته الغريبة!.. ولكن عندما أثمرت تلك الاتصالات المشوهة التي فرضها علي (نكبتي) بعد الزواج، عن حمل آخر، أدركت أنني كنت على خطأ.. نعم يا موت، أثمرت

تلك الغزوات البربرية التي كنت أتعرض لها كل ليلة طوال أشهر بعد الزواج عن ثمرة، فأبدلت مزاجي.. شعرت بسعادة كبيرة وأنا أشعر بأن الحياة تدب في أحشائي فهدأت وسكنت أعصابي التي كانت ثائرة دائما، حتى أنني بدأت أحاول، أحيانا طبعا، أن أرأب الصدع بيني وبين زوجي.. بل بدأت استجيب له عندما يريد أن يكون الاتصال طبيعيا.. أيضا أحيانا، فبدأ التجهم يزايله ورقّ تعامله معي.. لم يكن الأمر سهلا بالمرة، ولكنه تحقق بالتدريج، وساعدت ولادة ابننا (هاني) على تحسين الأجواء أكثر، وأكثر، حتى تصورت أننا سنعيش أخيرا حياة طبيعية، ولو على مضض من قبلي.. ولكن يبدو أنه كان للأقدار إعتراضها على ذلك!.

بعد الولادة، عشنا شهورا من حياة زوجية شبه طبيعية، فقد بدا ، والحق يقال، أنه أحب ولده وسعد به، رغم أن هذا لا يعني أكثر من أنه كان يهرع إليه حال رجوعه إلى البيت ليلعب معه لمدة عشر دقائق، أو أكثر بقليل، قبل أن يملّ ويعيده لي! ولكنني تقبلت منه هذا، فلم أحاسبه يوما على امتناعه عن تقديم أية مساعدة لي بالاعتناء بولده.. بل أنه لم يكلف نفسه يوما عناء الاستيقاظ على صرخات ولده الليلية لأنه كان يعرف أنني لن أستطيع النوم وولدي يحتاجني رغم ساعات العمل الطويلة في المستشفى والبيت.. والصيدلية فيما بعد، وما كان يسببه لي من شعور هائل بتعب مستمر وحاجة إلى النوم لا تنتهي، فيما كان هو لا يعرف للتعب معنى، الا إن كان دوام الراحة، تعباً، فقد كان دائما عاطلا عن العمل.. كان هذا يزعجني.. ويؤلمني، ولكنني كنت قد مللت حياة الصراعات والخصام، وأردت أن أقضي المتبقي من حياتي بسلام بعدما أصبح عندي ولد.

عضّ الجوع العراقيين، وقلب الحصار حياتهم رأسا على عقب، ولكن حياتنا لم تتأثر كثيرا، بل لعل عائلتي الجديدة كانت واحدة من العوائل القليلة التي استفادت من الحصار بدلا من أن تتضرر، فقد كان أبو زوجي واحدا من المقاولين الذين اعتمدت عليهم الحكومة في توفير ما تحتاجه من المواد فلم تبخل عليهم، وهكذا ازدادت ثروته حتى حدث الانهيار الاقتصادي الذي عصف بالبلاد خلال عام 1996.. كنا قد سمعنا قصصا عجيبة وغريبة عمّا حدث في تلك السنوات، وخاصة ما يتعلق منها بـ (سامكو) و(علاءكو) و(لا أدري منكو)، ولكنني لم أعجب لشيء كما عجبت لحال بعض من تضرروا نتيجة ذلك الانهيار، ومنهم أبو زوجي.. بالحقيقة كان رجلا طيبا رحمه الله، عاملني بلطف وأحببته كثيرا رغم سلبيته التي نصّبت زوجته الكريهة، غولا في البيت، ولكنني استغربت كثيرا لما أصابه في تلك الأيام، فقد كان يمتلك الكثير من الأموال خاصة بعد استفادته من ظروف الحصار، وحسبما سمعت قد تكون ثروته بمئات الملايين، ولكنه عندما خسر عشرة أو خمسة عشر مليونا بسبب الانهيار، أصيب بجلطة بقلبه وكاد يموت، بل لعله مات بسبب ذلك بعد مدة قضاها مريضا! أنا لا أعرف كيف يفكر هؤلاء، ولكن حدسا انتابني حينها، جعلني أحاول استثمار المبلغ المحدود الذي كنت أمتلكه في تلك الظروف التي أصبحت فيها الأشياء برخص التراب، لأحقق حلمي بامتلاك صيدلية خاصة، وهو ما تحقق بالمشاركة مع إحدى المعارف بعد أن جعلت أخي يشتري لي أقصى ما يستطيعه من الدولارات المتهاوية بسرعة، فكان ربحي مرضيا جدا حين بعتها بعد أن استرد ثمنها، عافيته.

كما توقعت بالضبط، لم يكلف عواد نفسه بمساعدتي وأنا أحقق حلمي، وعذره أنه قد أصبح مسؤولا عن ثروة العائلة بعد مرض والده وتقاعده الاجباري.. ولكنه فاجأني باهتمامه الكبير بعد أن بدأت الصيدلية تدر واردا محسوسا، وراح يتواجد يوميا فيها، ولكنني أوقفته عند حده حين بدأ يتدخل بالتفاصيل ويطالبني بأن أريه الحسابات.. لقد كشف لي أيامها عن وجه قبيح آخر يا موت، فقد كان يريد أن يكون شريكي مرة أخرى.. شريكي في الصيدلية رغم أنه لم يساهم بفلس واحد معي، كما هو شريكي في الفراش وشريكي في ولدي وشريكي في الحياة، لمجرد أنه دفع مهرا لم يحرص أهلي على أن يكون كبيرا لأنهم كانوا يريدون أن يشتروا لي رجلا، فاشتروا (شريج شطي)!.

عندما رفضت تدخلاته، ارتدع فورا وابتعد بعدما فهم أنني جادة في موقفي، ولكنني حاولت جاهدة أن لا أدع ذلك يؤثر على علاقتنا المتنامية في البيت.. من أجل ولدي طبعا، ولكن يبدو أنه لم يسامحني، إذ لم تمض إلا بضعة أسابيع حتى أعلن عن نيته في السفر وحيدا إلى (عمّان) ليدير ثروة العائلة من هناك!.. أنا أعرف يا صديقي الآن أن مبعث جزء من قراره كان ليؤذيني، فقد كان لئيما بطبعه، وكنت أعرفه جيدا حتى في تلك الأيام، ولكن قراره كان قاسيا عليّ، بل مؤلما رغم أن بعده عني كان ليفرحني لو لم تكن مسؤولياتي أكبر من أن أستطيع أن أتدبر أمرها لوحدي.. كنت بحاجة إليه بشكل أو بآخر، ولكنه أدار ظهره لي وسافر.. بعد أن أوصى بي صديقه سرمد إن احتجت لشيء، رغم أنه كان واثقا من عدم حاجتي لشيء، لأن بيتنا كان ملاصقا لبيت

أهله الذين لن يتركوني محتاجة حسب زعمه!.. هكذا بكل بساطة يا موت، تركني أمام متاعبـــي.. دوام رسمي وطفل لم يبلـــغ مـــن العمر السنة، وبيت مستقل، وصيدلية تحتاج إلى الكثير من الجهد، وهرب.. أنا أعرف جيدا أنه لم يكـــن يومـــا مســـتعدا لتحمـــل مسؤولياته، ولكن ما فعله في تلك الأيام كان يفوق الوصـــف، ولم أتوقعه حتى منه!.



ركّزت عينيها عليها وهي تقترب منها.. كانت منكبــة علــى أوراقها التي تكدست على المكتب بطريقة توحي أنها لن ترفع رأسها حتى يلعلع الرصاص من حولها، أو يحصل انفجار متوقع في أية لحظة في بغداد.. وقفت أمامها، وبالفعل لم ترفع رأسها.. قالت بصــوت واضح ومسموع:

- مرحبا سهاد.

رفعت سهاد رأسها متفاجئة، ولكنها بعدما أمعنت النظــر في وجهها، لم يبد عليها أنها قد عرفتها، فقالت بطريقة الموظفين الرسمية، التي تقترب من الصلافة:

- أهلا.. تفضلي.

تمعنت في وجه سهاد الذي لم يبد عليه أنه قد تغير كثيرا لــولا تلك التجاعيد التي تراكمت تحت عينيها، فعرفت أنها لم تنس هــذا الوجه الذي كرهته ذات مرة.. قالت:

- يبدو أنك لم تعرفيني.

لم ترد سهاد فورا، بل تطلعت إليها بامعان، قبل أن تقول بعــد قليل بصوت اختلطت فيه المفاجأة بالاستفهام:

- سلمى؟!

هزت هي رأسها ايجابا، فيما بدت الفرحة واضحة على وجــه سهاد لوهلة قبل أن يردعها الجمود الذي سيطر على وجهها فجأة.. نهضت ومدت يدها إليها، فصافحتها.. قالت سهاد:

- ترى ما سبب هذا التشريف.. ما الذي أستطيع أن أقدمه لك.. أؤمري.

شعرت سلمى بامتنان في أعماقها، ولكنها لم تشأ أن تفصح عنه.. قالت بهدوء:

- أتيتك لأمر مهم، فهل تستطيعين أن تفرغي نفسك لي لبعض الوقت؟.

قالت سهاد باسمة وهي تشير إلى كرسي فارغ بجانبها:

- (غالي والطلب رخيص).. تفضلي.

قالت هي بسرعة:

- لا، ليس هنا.. نحتاج الى بعض الهدوء من حولنا.

بان الاستغراب على وجه سهاد وهي تتطلع إلى وجهها وكأنها تحاول أن تستكشف نواياها.. قالت بعد قليل من التفكير:

- حسنا.. اسمحي لي قليلا.

ثم غادرت مكتبها متجهة إلى غرفة داخلية غابت خلف بابها لدقائق، قبل أن تعود مسرعة لتحمل حقيبتها التي أخرجتها من أحد أدراج مكتبها وقالت:

- هيا بنا.

حال خروجهما من الدائرة، إلتفتت سهاد إليها مبتسمة رغم أن ملامحها عجزت عن إخفاء إمارات التساؤل والقلق والحيرة.. قالت:

- والآن، أتخبرينني لم شرفتني بهذه الزيارة التي لم أكن أتوقعها منك أبدا.

قالت بهدوء وهي تبذل جهدا لكي يبدو وجهها محايدا:

- ماذا يا سهاد؟.. أأبدو لك وكأنني أحمل كاتما قد أغتالك به؟

ضحكت سهاد وقالت:

- ولم تغتالينني.. رأيت للتو أنني مجرد موظفة، وأؤكد لك بأن لا مخططات عندي للمنافسة على كرسي أو منصب.. ولكن..

ولكنها قاطعتها قائلة:

- انتظري حتى نجلس في مكان ما وسأقول لك كل ما أتيت لقوله، فلذلك أتيت.

وصلتا إلى (الكافيه) القريب الذي اقترحته سهاد، فانتبذتا مكانا بعيدا عن الزبائن الآخرين.. قالت سهاد:

- والآن؟

فنظرت إليها بتمعن وقالت:

- أشك بأنك لم تخمني حتى الآن لِمَ أتيتك.

فبدت الدهشة صادقة على محيا سهاد وقالت:

- أقسم لك بأنني لم أخمن أي شيء.. ما زلت مندهشة من زيارتك غير المتوقعة هذه!

لم تشأ هي أن تناقش فقالت على الفور:

- هيفاء.

غزا الإحمرار وجه سهاد الذي بدت عليه المفاجأة كاملة.. وقالت بعد تردد قصير:

- ما بها هيفاء؟

ثم سكتت لتضيف فورا:

- وما شأني بها؟

قالت لها بكل ما تمتلكه من اصرار:

- أنت تعرفين جيدا ما أتكلم عنه.
- لا أعرف.
- بل تعرفين.
- أرجوك سلمى.
- بل أرجوك أنت.

صمتت سهاد فجأة و لم تتكلم لثوان طالت قليلا، قبل أن تقطعها بالقول وقد بدا عليها أنها قد استسلمت:

- إذاً هي وشت بنا عندك.

تفاجأت من قدرة سهاد الكبيرة على المصارحة وهي التي خططت لأن توصل رسالتها واضحة رغم يقينها من أن سهاد لن تعترف حتى النهاية.. قالت:

- لا وشاية في الأمر.. أنت تدمرينها.

عادت الدهشة لتطل من ملامح سهاد.. قالت متسائلة باستغراب:

- أنا أدمرها؟!
- طبعا.
- كيف؟!
- هي زوجة يا سهاد.. وأم لشباب وشابات!

ارتسمت ابتسامة سخرية على شفتي سهاد، وقالت:

- وأين كان زوجها يوم التجأت إلي؟!

شعرت بغضب يتصاعد في داخلها، قالت وهي تكاد تصر على أسنانها:

- التجأت إليك؟.. أتتك لتسري عن نفسها، لا لـــ.......
- بل أتت شاكية من شيء وأعطيتها أحسن ما عندي.

فقالت والاستهزاء يعلن عن نفسه في كل حرف تنطقه:

- يا لطيبتك وحسن أخلاقك!

أدركت أنها سمحت لنفسها أخيرا أن تعبر عن كرهها، ولكـــن سهاد لم تجب فورا، بل تمعنت في وجهها قليلا قبل أن تقول:

- أتعرفين شيئا يا سلمى؟
- ماذا؟
- لو أصبحت مثلي لما كنت إلا إيجابية.
- لم أفهم!

ابتسمت لها سهاد وهي تقول:

- لم يخطر لي ببال أنني سأخاطبك يوما بمثل هذا، ولكنـــك وضعتني أمام الأمر الواقع.

قالت بصبر:

- لم يساعدني هذا في فهم شيء!
- صبرك عليّ.. في التهيئة للعلاقات بين النساء، وعذرا لقول هذا بكل وضوح، هناك طرفان.. طرف ايجابـــي وطرف سلبـــي.
- لم أفهم بعد!
- قصدت طرف ايجابـــي يغوي كالرجل وطرف سلبــــــي يستجيب كالمرأة.

اجتاحها الاستغراب لسماع ذلك، وقالت وهي بالكاد تسيطر على غضبها:

- وهل أبدو لك كرجل.

ركزت سهاد نظراتها على وجهها قليلا قبل أن تقول بهدوء:

- أنا أعرف يا سلمى أنك لا تطيقينني.. لطالما شعرت بذلك، ولكنني لم أقصد سوءا بقولي، بل الحقيقة هي أنني قصدت المدح فقط.

كانت ذكرى سيئة جدا تعذبها في تلك اللحظات، إذ تذكرت فجأة حين لامستها سهاد في حمامات الكلية وهي تحاول إغواءها.. كانت علاقتهما طيبة حتى تلك اللحظة ولكنها شعرت بغضب شديد بالرغم من الخوف الذي شعرت به في البداية.. كادت تضربها لولا خوفها من فضيحة أن تكون طرفا في معركة أنثوية داخل (التواليت)!.. بذلت جهدا لإبعاد تلك الصور من ذاكرتها الفعالة لحظتها لأنها تعلم أنها لا تستطيع أن تفعل شيئا يهدئ من غضبها الآن أيضا، بسبب عمومية المكان.. قالت بأقصى ما تستطيعه من هدوء:

- لم أفهم كيف يمكن أن يكون ما قلتِهِ مدحاً!

ردت سهاد:

- أنا قصدت الرجل بسيطرته وقدراته العقلية، لا شكله.

فهمت ما كانت تقصده سهاد، ولكنها لم تزد على أن تمطّ شفتيها، فقالت هذه:

- لا بأس.. دعينا في المهم.

فقالت هي على الفور:

- نعم المهم.. دعينا في المهم.

بعد صمت قصير، قالت سهاد وهي تحاول أن تبدو جدية تماما:

- جاءت هيفاء إلي وأعطيتها أحسن ما عندي، ولا أعـــرف ما تطالبينني به!

فضحكت وهي تقول:

- وأنا أشهد لك بأنك أعطيتها أحسن ما عندك، ولكن..

قاطعتها سهاد قائلة وهي تحاول اخفاء ابتسامة تراقصت علـــى أطراف شفتيها:

- بلا ولكن أرجوك.. هيفاء امرأة راشدة، و لم أخـــدعها أو أغوها.

فقالت هي بأقصى ما تستطيعه من تضمين للسخرية، في نبرات صوتها:

- وأشهد لك بهذا أيضا.

قبل أن تضيف جادة بعد تفكير قصير:

- ولكنك أستغللت ضعفها.

نظرت سهاد إليها مليا قبل أن تقول:

- أتعرفين.. لن نتفق مهما تناقشنا.

- و لم لا نتفق؟!

قالت سهاد وقد بدا عليها الحزن:

- لأننا نختلف عن بعضنا.. هذا كل ما في الأمر.

فتساءلت هي على الفور:

- كيف نختلف؟.. أتمتلكين ما لا أمتلكه؟

ضحكت سهاد وقالت:

- تمتلكين روح النكتة!

- طبعا.

- ومع ذلك لن تفهمي.
- اجعليني أفهم إذاً.

لم ترد سهاد هذه المرة، فقالت هي بعد تردد قصير:

- صدقاً سهاد.. ما الذي يدفعك إلى هذا؟.

فابتسمت سهاد وقالت:

- وكأنك تريدين أن أختصر لـــك حيـــاة كاملـــة ببضـــع كلمات!.. ألم أقل أنك لن تفهمي؟

فقالت بصوت بدا فيه التحدي واضحا:

- جربيني.
- بلا تجربة، ما تطلبينه مستحيل، وأنا لا أستطيع أن اشرح.
- فقط أخبريني.. ما الذي تريدينه؟.. لِمَ لَمْ تصبحي مثلنا؟!
- لأنني لست مثلكم.. أيحتاج الأمر إلى ذكاء كبير لتدركي ذلك؟!

عندها فقط شعرت وكأن الثقة التي لازمتها منذ بدء اللقاء قـــد زايلتها.. شعرت في أعماقها بأن سهاد لربما تكون على حـــق فيمـــا قالته للتو، ومع ذلك، قالت باصرار:

- ما الذي تريدينه من كل هذا؟

قالت سهاد التي بدا عليها فجأة وكأنها شاردة الذهن:

- لا أعرف.

بدا الوجوم واضحاً على وجه سهاد وهي تفكـــر، فاحترمـــت سلمى ذلك و لم تنطق بكلمة حتى قالت سهاد:

- أتظنين أنني لا أعرف ما أنا فيه؟!

لم تجبها بكلمة فقالت سهاد مكملة:

- أتظنين أنني لم أتمنَّ أن أكون طبيعية كبقية النسـاء؟!.. لا سلمى، لقد تمنيت ذلك لأن العيش كالبقية أسهل من مخالفتهم.. تمنيت أحيانا.. بل حاولت، فقد سمحت ذات مرة لرجل أن يقترب مني.. كنت أريد أن أتغير، وقد عاملني برقة حتى تصورت أنه سيحقق لي ما أريد، ولكنه سقط في أول امتحان.

تساءلت سلمى بلهفة:

- امتحان؟!

فابتسمت سهاد وهي تقول:

- في أول مرة اختلينا فيها، كشف عن وجهه الحقيقي.

هزّت برأسها وكأنها تحاول ابعاد فكرة عنه.. اتسعت ابتسامتها وأكملت:

- أراني عضوه المنتصب.. السخيف!، يريد أن يغويني.. لم يفهم أنني كنت أريد علاقة وجدانية أولا تنقذني مما أنا فيه.

- فما الذي فعلته؟

- لم أفعل شيئا، فقط تركته فورا و لم أره مرة ثانية.

فقالت سلمى بعفوية:

- المسكين!.. لم يعرف أنه كان مقبلا على علاقة لواط.

ندمت على قولها فوراً، ولكن ضحكة سهاد جلجلت في المكان، فلفتت إليهما الأنظار.. أرغمت نفسها على السكوت بسد فمها بيدها وقالت وهي تغالب رغبتها بالضحك:

- ما زالت روحك كما هي.. يا لله يا سلمى لكم كنت أحبك!

فقالت بلا تفكير:

- نعم أعرف كم كنت تحبينني.

علا الاحمرار وجه سهاد حين سمعت ذلك، ولكنها لم ترد.. ابعدت ناظريها عن وجه سلمى وقد بدا عليها التفكير قبل أن تقول:

- لواط!

كادت أن تعود إلى ضحكها المجلجل لولا أنها سيطرت على نفسها لتتابع القول:

- تعرفين جيدا أنني لا يمكن أن أكون رجلا لافتقاري إلى (مؤهلهم) ذاك، ولكنني رفضت الزواج لأنه علاقة غير منصفة في مجتمعنا.
- أها، إذاً ما تفعلينه تمرد.. ثورة!.. أهكذا تريدين أن تفسري الأمر؟!
- لا وألف لا.. أنا لست ملزمة بتفسير شيء لك.. ولا أستطيع.. ولكن شئت أم أبيت فقد كان لهذا أثر في تشكيل شخصيتي.

سكتت لتفكر قليلا قبل أن تكمل:

- آه يا سلمى، قلت أكثر من مرة، لا أستطيع شرح الأمر.. مستحيل، فلا تشككي بنياتي عندما أتحدث.. لا تنصبي نفسك حكما عليَّ.

قاطعتها قائلة بصدق:

- ولكن لِمَ هذا الدرب يا سهاد؟

بدا على سهاد وكأنها قد أحبطت.. فقالت بصوت مهادن:

- لقد رفضت الرجال، ولكنني لن أتجاوز حاجتي إلى الجنس بسهولة، فكان خياري هذا.

ثم سكتت قبل أن تضيف بعد قليل:

- ولِمَ أتجاوز تلك الحاجة وهي حق لي؟

فقالت هي معترضة:

- نعم هي حق، ولكن ليس بالطريقة التي اخترتها!

نظرت إليها سهاد وقالت بهدوء:

- الفكرة ليست في الطريقة يا سلمى، بل في المتعة واللذة المتحققة.

شعرت سلمى فجأة وكأنها عاجزة عن الاستمرار في ذلك الحديث الذي لم يزدها إلا قرفا منه.. قالت:

- ولكن هذا أبعدنا عن موضوع هيفاء الذي جئتك من أجله!

- وما بها هيفاء.. لا أحد يجبرها على شيء.

- هل ستتركينها لحالها؟

فضحكت سهاد وهي تقول:

- يا سلمى، الأمر ليس إغتصابا كما يفعل الرجال حين يجبرون المرأة.. ألا ترين أنني لا استطيع أن أذهب إليها لأغتصبها.. أنا أحتاج إلى رضاها الكامل.

ثم سكتت لتضيف بعد قليل:

- ثم أنا لم أذهب إليها، بل كانت هي من تأتيني.

لاحظت هي أن ما تقوله سهاد هو الحق هذه المرة، فقالت:



- عديني بأنك لن تضغطي عليها وأتركي الباقي عليّ.

ابتسمت سهاد وقالت:

- تقصدين أن لا أغويها؟.. نعم، من أجلك سأفعل.

فقالت سلمى وهي تحمل حقيبتها متهيئة لتغادر:

- شكرا جزيلا.

(سلّم البزّون شحمة!) لطالما رددت مع نفسي هذا وأنا أفكر بسرمد بعد ما حدث معه، سواء كان ذلك خلال الوقت الذي سعدت به معه، أو بعدما اكتشفت مدى الحيف الذي ألحقته بنفسي بسبب رضاي به!.. بدا (البزّون) وكأنه رحمة لي، خاصة في الأشهر الأولى بعد سفر عواد.. كان دائم الزيارة إلى الصيدلية ليسألني عن حاجاتي التي لم يتردد في تلبيتها فورا.. كان خير معين لي وخاصة عندما دبّ الخلاف مع شريكتي بالصيدلية، إذ وقف معي ولم يهدأ له بال حتى أقنعها في النهاية بأن تبيع حصتها لي.. وبالفعل فقد بعت كل ما عندي من ذهب، ولجأت إلى أهلي حتى أوفر المبلغ المطلوب وتصبح الصيدلية لي وحدي وهو ما كنت أتمناه.

لم أشك يوما بنواياه وهو يقدم لي كل تلك الخدمات، لأنني تصورت طوال الوقت أنه إنما كان ينفذ وصية صديقه، ولكن هل شعرت بميله الجنسي لي؟! لم أعد أتذكر، ولكن باستطاعتي أن أزعم بأنني قد شعرت!.. طبعا لم يخطر لي ببال أن تصل الأمور بيننا إلى ما وصلت إليه، ولكنني لا أستطيع الآن أن أنكر أنني قد قرأت رغبته بي في عينيه قبل أن يحدث شيئا، ولم أرعوي!.. لماذا؟.. آسفة لأنني لا أستطيع أن أسوغ لك شيئا يا موت، ولكن هل أحتاج إلى تسويغ الآن وأنا أخاطب صديقا؟.

بدأ كل شيء يوم رن جرس البيت بعدما حلّ الظلام في الخارج.. كنت أستعد للنوم بعدما سبقني إليه ولدي الرضيع..

خرجت لأفاجأ بسرمد يتطلع إلى من فوق باب الحديقة الخارجي.. دق قلبـــي بعنف وتساءلت عما أتى به في هذا الوقت.. اجتـــزت الممر القصير بخطى تكاد تكون متعثرة، ولكنه ابتسم لي مطمئنـــا.. قال مجيبا على نظراتي المتسائلة:

– قد أسافر في الغد، ففكرت في أن آتيك ببعض المشتريات لكي لا تحتاجي شيئا حتى أعود.

أعقب قوله بأن رفع يده الحاملة للأكياس البلاستيكية ليريني إياها.. فتحت الباب واستلمتها.. سألته عن المبلغ وطلبت منه أن ينتظر حتى أجلبه له.. لم أسر سوى بضع خطوات حـــتى فاجـــأني بقوله:

– أحتاج إلى شاي.. ألن تتحفيني بــ (استكان)؟

آه يا موت.. كلما استعدت أحداث تلك الليلة بخيالي، تبـــدأ محنتي في هذه اللحظة بالذات.. ألم تكن نيته واضحة؟.. ألم يكـــن جنونا أنني سمحت له بالدخول لأعدّ له الشـــاي؟!.. أنـــا والله لا أتردد لحظة واحدة الآن في أن أعترف بأنه جنون ما بعده جنـــون، ولكن خليط المشاعر في تلك اللحظات الموغلة بالغموض منع عني التفكير الصحيح.. لا يا موت أنا لا أريد أن أسوغ شيئا.. أنا فقط أقص عليك ما حدث.. نعم، كانت مشاعري خليطا مـــن كـــل شيء.. دهشة وخشية وخجل ورغبة في التخلص مـــن الشـــعور بالوحدة، ولكن يبقى السؤال الأكبر هو.. هل شـــعرت لحظتـــها بالرغبة؟! لم أعد أتذكر بالضبط، ولكن صدقني إذ أقول أنا أرجح أن لا.. يمكنك أن تكذبني، ولكنني لا أعتقد أنها قـــد خطـــرت لي ببال في حينها لأنها كانت مستبعدة جدا.. المهم هو أنني لم أستطع

أن أقول (لا) فدعوته للدخول إلى الصالة، بعدما تركـــت بابهـــا الخارجي مفتوحا وذهبت إلى المطبخ لأعد له الشاي. بعد دقـــائق، شعرت به، وأنا واقفة أمام الفـــرن منتظـــرة أن يغلـــي المـــاء في (القوري)، يقتحم علي المطبخ.. شعرت بالرعـــب فجمـــدت في مكاني.. كان أول ما تبادر إلى ذهني أنه سيقتلني!.. لِمَ شعرت بهذا وكيف؟! أنا لا أعرف، فقط شعرت بـــذلك!.. قلـــت بصـــوت مرتجف من دون أن استدير:

– ماذا؟!

فأتاني صوته من خلفي.. بدا لي أقرب مما توقعت.. قال:

– لا شيء

كانت هناك بحّة واضحة في صوته.. فكرت بسرعة بـــأنواع المضادات الحيوية التي تتوفر عندي في البيت لأنني تصورت لوهلة أنه أصيب بنـــزلة برد وأتى بحثا عن دواء!.. لكنني ســـرعان مـــا فهمت حين أحاطني بذراعيه وأقحم (سلبوحه) المتصـــلب حيـــث يقحم في مثل هذه الحالات.. كانت الـــ (لا) هذه المرة هي أول ما قلت، ولكن يبدو أنها لم تكن بالحزم المطلوب، لأنه بـــدلا مـــن أن يرتدع، جعل كفيه اللتين استقرتا في البدء على بطـــني، ترتفعـــان لتمسكان بصدري.. شعرت بقشعريرة تجتـــاح جســـدي، قلـــت بصوت خفيض:

– لا سرمد أرجوك.. لا يصح.

قلتها هامسة يا موت وكأنني اشجعه، ولكنني أقسم لك بـــأنني لم أكن أقصد ذلك.. فقط كنت مبلبلة الحواس.. قال هو، بصـــوته الذي كان يزداد جشة كل لحظة، اشياء لم أعد أتـــذكرها، ولكـــن

مدلولها كان واضحا.. كان يريدني وهو يحدثني عن حب وغـــرام لم يعد يستطيع أن يكتبهما.. رددت كلمة (لا) أكثر من مرة ولكنه لم يرتدع، وظلّ يدك أبواب حصوني بمدقه ويديه، حتى فاضت الرغبة في أنحاء جسدي المحروم.. أرأيت يا موت لم لا أستطيع أن أبوح بهذا لبشر.. أنا على يقين من أنه سيدينني حين يسمع مني هذا.. سيقول أنه كان يجدر بـــي أن أدفعه عني.. أن أصرخ وأن أفضـــحه كمـــا يستحق.. تبا لهم، ليعانوا أولا من كل الحرمان الذي شـــعرت بـــه طوال ثلاثة أشهر.. لتحرقهم نيران الرغبة التي ألهبت جسدي وأنـــا أتقلب كالمحمومة لوحدي في سريري كل ليلة تمر بـــي.. ليقرفوا من أنفسهم كما فعلت في كل مرة داعبت نفسي فيها، ثم ليحدثوني عن الفضيلة التي تجعلني أصدّ هذه الفرصة التي أتيحت لي وأرفضها.. أنا لا أقول أن كل النساء كن ليتصرفن مثلي.. لا، طبعا لا، ولكـــنني فقط أريد أن أقول أنني كنت لحظتها ضعيفة.. ضعيفة جـــدا، ومـــا كان اغواء سرمد إلا الفرصة التي لم أستطع تفويتها.

بعد أن شعر بانهيار مقاومتي نهائيا، أدارني ليلتهم شفتي باسنانه وهو يقحم لسانه عنوة في فمي.. لم يحاول أن يأخـــذني إلى مكـــان آخر، بل جعلني أستلقي على أرض المطبخ، ورفع منامتي، فبهت.. شعرت بخجل كبير لأنني لم أكن أرتدي لباس داخلي، فأنـــــزلتها، ولكنه رفعها مرة ثانية ومنعني من انـــزالها مرة أخرى ثم راح يعالج حزامه وينـــزل بنطلونه بسرعة ليكشف عن سيفه.. رأيته، فأثارني لأنه كان يفوق خنجر عواد حجما وطولا.. شعرت ببللي يكـــاد يعلن عن نفسه عيانا، فعرفت أنـــه مقـــتحمني الليلـــة لا محالـــة، فأغمضت عيني!

غمزت هديل خفية لولدها، مستغلة انشغال عــذراء عنــهما، ففهم الشاب وغادر الصالة تاركاً أمه وضيفتها لوحــدهما.. تمعنــت هي بوجه صديقتها الساهمة، فأعجبها جماله الذي يأبى أن يفارقــه.. قالت:

- هل انتبهت إلى ابن العاهرة هذا.. لقد التصق بك وأبى أن يفارقك.. ولولا وجودي لكان الآن يمتطيك بالتأكيد.

أغرقت عذراء بالضحك وصاحت:

- يا لك من فاسقة!.

فضحكت هي الأخرى وقالت:

- صدقيني، هو لم يهتم يوما بواحدة من صديقاتي كما اهتم بك اليوم.
- ذلك لأنه صاحب ذوق راق طبعاً.
- ها قد بدأت النرجسية.

فضحكتا معاً قبل أن تغرقا في سكون قصير، كانت هديل تفكر خلاله في كيفية جعل صديقتها تحدثها عما حدث لزواجها الذي بدا لها في حينه، ناجحاً جداً وسعيداً.. لم تكن تريد أن تحرجها، ولكــن الفضول كان يثقل عليها.. قالت عذراء فجأة:

- أية لعنة تسكن شوارع بغداد في هذه الأيام؟

شعرت هي بالقلق فتساءلت:

- ماذا؟.. ما الذي حدث؟!



- لم يحدث شيئا محدداً، أنا فقط أتحدث عن هــذا الزحــام القاتل.. كدت أفقد الأمل بالوصول إليك هذا اليوم.

قالت والحسرة تكاد تخنقها:

- هذا قليل مما عانيناه طوال عقود يا عزيزتي.

فضحكت عذراء برقة وقالت:

- وهل تتصورين أنك تخاطبين امرأة سويسرية يا هديل؟

فابتسمت لها وقالت:

- لا أقصد هذا، ولكن ابتعادك طوال السنوات التي مــرت، يجعل من أمر فهمك لحقيقة ما حدث صعباً.

فقالت عذراء وهي تهز رأسها:

- في هذا أنت على حق، ولكن اللعنة.. كان يجب أن يجعلني حال بغداد هذا، أعزف عنها، ولكنني أفكر الآن بحــالي حين أغادرها.. سأشتاق إليها كثيراً.
- آه ذكرتني.. متى ستسافرين؟
- بعد غد.

فصاحت:

- بعد غد؟ يا لك من عاهرة!

تساءلت عذراء ضاحكة:

- ولكن لماذا؟.. لِمَ التعدي ايتها المجنونة؟
- كم أكدت عليك أن نلتقي أكثر مــن مــرة؟، ولكنــك اختفيت و لم تظهري إلا اليوم لتبلغيني بأنك مسافرة بعــد غد.
- أنا آسفة.. المشاغل كانت كثيرة جداً.



فقالت وهي تضحك:

- مشاغل!.. (آخ منك يا لساني).

فغصت عذراء بالضحك قبل أن تقول:

- بالضبط كما قلت.. آخ من لسانك.

ثم سكتت، وبدت عليها علامات تفكير، قبل أن تكمل:

- نعم مشاغل كثيرة كان يجب أن أكملها خلال مدة بقائي هنا لأتخلص منها نهائيا.

وتطلعت إليها وأكملت:

- أقسم لك بأنني سأسافر و لم أكمل كل ما أردت فعله.

فقالت هي بنفاد صبر:

- حسنا، حسناً.. أصدقك، ولكن ألن تحدثيني؟.

فرفعت عذراء حاجبيها مستفسرة، فقالت هي:

- عن زواجك أقصد.

غامت عينا عذراء، وبان الحزن واضحا على وجهها.. شعرت هي بحرج وقالت بصدق:

- إن كان الحديث سيؤلمك، فاتركي الموضوع أرجوك.

لم يبد على وجه عذراء أنها كانت تستمع إليها، ومع ذلك قالت متابعة:

- ولكن.

ثم سكتت، فتساءلت عذراء قائلة:

- ولكن ماذا؟

فقالت وهي تحاول أن تداري شعورها بالحرج:

- سأموت من الفضول إن لم تفعلي.

فانطلقت عذراء بضحك صاحب لثوان طوال قبل أن تقول وهي تحاول أن تسيطر على قهقهاتها:

- يا لك من ملعونة!.. والله أنا محدثتك بكل ما تريدين.

ثم خيم صمت قصير بينهما.. بدا على عذراء وكأنها تحاول أن تستجوب ذاكرتها قبل أن تفصح عن بعض ما فيها.. قالت:

- والله يا هديل، في البدء تصورت أن الحياة قد ابتسمت لي وإلى الأبد، فقد عاملني كأميرة، وجعلني أشعر وكأنني أعيش حلما جميلا.. شعرت بحبه الكبير لي، وكان كريما معي.. إلى أقصى حدود الكرم.. ولكن.

ثم سكتت.. قالت هي بعد أن طال صمت صديقتها:

- ولكن؟!.

- ولكن تبين أنه حلم.. مجرد حلم.

سكتت قليلا قبل أن تكمل:

- الحلم الجميل الذي أريد له أن يجمّل الحقيقة البشعة.

لم تتحمل هي هذه المرة، فقاطعتها قائلة:

- ولكن ما هذه الحقيقة؟!

رنت إليها عذراء لثوان وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة حزينة.. قالت:

- لم أنتبه مبكراً، ولكنه كان يصر على أن أرتدي أحلى الفساتين، لم يهتم لأسعارها ما دامت مثيرة.. أنا فسرت الأمر على أنه يريدني أن أبدو الأجمل بين النساء، ولا بد أن تكون الاثارة إحدى مميزات الجمال عنده.. هكذا ظننت ولذلك سايرته.



ثم سكتت وهي تتطلع في وجه هديل التي لم تنبس بشيء، بل بادلتها النظرات بصمت، فأكملت بعد قليل:

- لاحظت اهتمام الرجال بي.. أقصد أصدقاءه، فحاولت أن أنبهه لذلك، ولكنه لم يهتم، بل كان يبتسم لي ويقول "لا تكوني متزمتة".. أحيانا، كنت أشعر بالغضب، ولكنني آثرت الصبر للإبتعاد عن المشاكل معه.. أنت تعرفين كم أكره المشاحنات.. هذا بالاضافة إلى أنه لم يكن يقصر بشيء خارج اطار هذا الموضوع.. صبرت وتجاهلت وواصلت معه حتى كان يوم طلب مني فيه خدمة بعدما عدنا من حفلة في بيت أحد أصدقائه.. طبعا أبديت له استعدادي لفعل كل ما يريده مني، ولكنه فاجأني.. بل قولي طعنني.

ثم سكتت، فقالت هديل التي كان الفضول قد وصل عندها إلى أقصاه:

- ما الذي طلبه منك؟.. قولي؟.

ولكن عذراء نظرت إليها بعينين مغرورقتين بالدموع، وقالت بصوت بدا وكأنه نشيج:

- لا أستطيع أن أقولها بسهولة يا هديل.. ألم تفهمي.. ألم يوضح لك كلامي، ما كان يريد.

لم تستطع هي أن تخمن ما كانت تقصده فاستغربت لسؤال صاحبتها.. قالت:

- لا تحيريني يا عذراء.. أرجوك أخبريني.

ولكن عذراء لم تقل شيئا، بل أصرت على صمتها فأكملت هي:



- هل طلب منك أن تقتلي شخصا من أجله؟!

أفلتت ضحكة من بين دموع عذراء وقالت:

- لعنك الله.. يا لك من مهرجة!.

فضحكت هي الأخرى وقالت:

- فأخبريني.. لا تحيريني يا عزيزتي.

قالت عذراء بعد قليل من التفكير:

- بالحقيقة هو لم يطلب بوضوح، ولكن كلماته كانت كافية تماماً لإيضاح هدفه.. كان مقاولاً كما تعرفين ومصالحه مرتبطة بموظفين كبار في الدولة حينذاك، ولذلك طلب مني أن أداري مديراً في دائرة ما، مسؤول عن صفقة كبيرة كان في سبيله لإبرامها.

فتساءلت هديل باستغراب:

- تداري!.. ماذا يعني ذلك؟.

فضحكت عذراء مرة أخرى وهي تقول:

- يالبراءتك يا حبيبتي!.. ألم تفهمي بعد؟.

بدت لها مدلولات الكلمات أوضح هذه المرة، ولكنها رفضت أن تتقبل الأمر كما بدا لها.. قالت:

- لا يا عذراء أرجوك.. قولي لي أن الأمر ليس كما فهمته للتو.

فبدا الحزن واضحا على وجه عذراء وهي تقول:

- بل هو الأمر كما فهمت بالضبط يا هديل.

شعرت وكأن شيئا ضربها على معدتها، فقالت بغضب:

- يا للهول!.. (طلع گواد يعني؟!).

فارتسمت ابتسامة متعبة على شفتي عذراء وقالت:

- نعم يا عزيزتي.. (گواد).

شعرت بالندم عندما رأت البؤس الذي ارتسم على وجه صديقتها.. همست:

- آسفة.

ولكن عذراء حركت يدها وكأنها تعبر عن لا مبالاتها، ثم تابعت تقول:

- منذ تلك اللحظة، تحولت حياتنا الى جحيم.. هو يضغط، وأنا أرفض.. تصوري، اتهمني بأنني لا أحبه لأنني لم أرضخ لطلباته الحقيرة.. بل أنه اتهمني بشرفي ذات مرة.

قالت هذا وراحت تضحك بشكل هستيري، الأمر الذي زاد مشاعر هديل سوءاً.. قالت:

- كفى يا عذراء، أتركي الموضوع.

ولكن عذراء قالت باصرار:

- كلا بل دعيني أفضح هذا الحقير.. أنا لم أحدث أحدا بهذا من قبل.. ذات ليلة، تجاوز حدود كل معقول، فقد أتى مصطحباً معه أحد (مسؤوليه) إلى البيت، وجلسا ليتناولا الخمر وطلب مني أن أخدمهما.. حين نظر إلي ذلك المسؤول، بل حين أكلني بنظراته، شعرت بالقشعريرة تجتاح جسدي، فقد كانت نظرة ملؤها الاشتهاء والطمع، ومع ذلك قبلت أن أخدمهما ما دام هو موجود.. وعلى كل حال كان هذا أهون مما يطالبني به قبلها.. ولكن ذلك لم يكن كل شيء، فقد فاجأني وأنا في المطبخ بقوله أنه

مضطر للخروج لقضاء حاجة مستعجلة، ثم أعقب قولـــه فوراً بالخروج وأنا أسيرة ذهولي.. تركني الديوث لوحدي مع ضيفه ففهمت اللعبة فورا، ولذلك لم أتـــردد كـــثيرا، فخرجت أنا الأخرى كالمجنونة وتركت ضيفه لوحـــده في البيتً.. لجأت إلى بيت أهلي و لم أعد إلى بيته الذي لم أره بعد أن تركته تلك الليلة، أبداً.

سكتت فجأة وبدت وكأنها تريد أن تسترد أنفاسها التي بدأت تتسارع وهي تتخفف من أحمالها تلك.. قالت بعد قليل:

- لجأت إلى أهلي ورفضت أن أرجع إليه.. لم يكن قد تبقى من أهلي غير أمي وأخي، وكانا حينها يخططان للسفر عن قريب.. أقصد للهجرة، فأقنعتهما أن (أهجّ) معهما، فوافقا بناء على اصراري، ولكنهما اشترطا على أن أنال الطلاق منه، فرفضت.. كانت علاقاته تجعل منه خصـــما عنيـــدا وعدوا شرساً وبامكانه أن يضيّع حياتي إن أراد، و لم أكن لأسمح له بذلك.. طالبت أخي بأن يتدبر لي جوازا مزورا لكي أسافر معهم باسم ثان.

سكتت وهي تهزّ برأسها لما تذكرته في تلك اللحظـــات كمـــا يبدو.. قالت بصوت حزين:

- زلزل الأرض تحتنا حين رفضت العودة معه إلى البيت رغم تعدد محاولاته، فبدأت زيارات الشرطة المســـتمرة لبيتنـــا وزيارات منتمين إلى ما لا أعرف اسمه من الدوائر الأمنية، ولكنني لم أرضخ.. لم تنقطع تهديداته، ولكنني قاتلت قتال اليائسين لأنني كنت أعرف أنني إن عدت إلى بيتـــه فلـــن

أخرج منه سالمة أبدا.. آآآآآآه يا أخـــي الحبيـــب، كـــم أحبك!.. لقد شعر بـــي حتى من دون أن أخبره بكـــل التفاصيل المخجلة التي لم أكن أجرؤ علـــى أخبـــاره بها يا هديل.. ساندني ورفض عودتي رغم ما عاناه بسببـــي، حتى إنه اضطرنا إلى قضاء الشهر الأخير بعيدا عن بيتنـــا الذي تركناه كما هو، ولجأنا إلى أقـــارب لنـــا لم يكـــن يعرفهم.

ثم سكتت لتخوض محاولة أخـــرى في اســـترداد الأنفـــاس.. لم تعرف هي كيف تعلق على ما سمعت ففضلت الســـكوت هـــي الأخرى رغم حيرتها، ولكن عذراء أنقذتها من حيرتها حين واصـــلت قائلة:

- يا لأخي المسكين! كم عانى بسببـــــي وهـــو يـــدور في (سوگ مريدي) والأزقة القريبة منه لكي يوفر لي أفضـــل ما يمكن شراؤه من جوازات، وقد ذهبـــت معـــه مـــرة مضطرة، وما زلت أحلم أحيانا بتلك الوجوه البشعة التي كنا نضطر للتعامل معها.. هناك، لم يكن لنا أن نغفل ولو للحظة لأنهم كانوا على استعداد دائم لســـرقتنا مـــع أول غفلة يقتنصونها منا.. المهم هو أنني حصلت على الجـــواز أخيرا، فأبكرنا بالرحيل حتى قبل الموعد الذي كانـــا قـــد حدداه قبل أن أفرض نفسي عليهما.

حين سكتت هذه المرة، لم يبد عليها أنها ستعود إلى الحديث مرة أخرى، فلم تعرف هديل بم تعلق، بل فضـــلت أن تســـكت رغـــم حيرتها، ولكن عذراء أنقذتها من حيرتها حين واصلت قائلة:

- في عمّان، كانت معاناة أخرى.. أنت تعرفين أننا تعودنا على مستوى معين من العيش أقل ما يمكن أن يقال عنه أنه مرفه، ولكننا فقدنا كل امكانات الرفاه خلال الأشهر الطويلة القاسية التي قضيناها هناك.. نعم، لم يقصر الأقارب معنا.. لم يقصروا أبدا، ولكن لكل إنسان حدوده، ولم يكن من المعقول أن يحرموا أنفسهم من لذيذ العيش وهم في غربائهم من أجلنا.. لقد أرسلوا إلينا أموالا كثيرة، كثيرة فعلا، ولكن احتياجاتنا كانت كثيرة أيضا، أكثر مما كان يمكن لتلك الأموال أن توفره لنا.. وهكذا نعق اليأس في نفوسنا ونحن نعاني ملل الانتظار الذي لم يبد عليه أنه سينتهي يوما.. ندم أمي وأخي لمغادرتهما العراق، ولكن مأساتي كانت أكبر، ففي الأقل أن الهجرة كانت فكرتهما، فيما اضطررت أنا إلى ذلك اضطرارا، ولذلك حقدت أكثر على من كان السبب.

انتبهت هي إلى أن الدموع كانت تهطل مدرارا من عينيها وهي تقول كلماتها الأخيرة.. كانت تبكي بحرقة، فشعرت بالعطف عليها وتحركت لتحتضنها، ولكن عذراء أوقفتها بحركة من يدها، وابتسمت لها من خلال دموعها وقالت:

- لا بأس يا حبيبتي، أنا بخير، ولكنها فقط تلك الذكريات المؤلمة.

ثم سكتت لتفكر قليلا قبل أن تواصل قائلة:

- على كل حال، هي أصبحت من الماضي الآن، وأنا لست بنادمة على قراري، فهو في الأقل أحسن بكثير من قرار الزواج به.

تطلعت في وجه صاحبتها وهي تفكر في ما يمكن أن تقوله لهـــا لكي تخفف عنها ثقل الذكريات التي جعلتها تستعيدها، ولكن عذراء فاجأتها بسؤال لم يكن متوقعا بالنسبة لها إذ قالت:

- ماذا عنك يا هديل.. كيف هو عواد معك؟

رغم المفاجأة، إلا أنها قالت بهدوء مصطنع:

- عواد!.. من هو عواد؟!

بانت المفاجأة على محيا عذراء، فقالت متلعثمة:

- آسفة هديل.. ظننت.. ولكن مستحيل!.. هـــو عـــواد.. أليس هو اسم زوجك.. أم أنك تزوجت غـــيره خـــلال غيابـــي.

فضحكت هي وقالت:

- زوجي.. من هو زوجي؟

عندها فقط بان الفهم على وجه عذراء فقهقهت وقالت:

- يا لك من عاهرة.. ماذا تقصدين؟

ولكنها لم تجبها إلا بقهقهة جوابية، ومع ذلك تساءلت عـــذراء باصرار:

- لا أرجوك هديل.. اصدقيني القول.

فقالت وهي تبتسم:

- لا كذب في الأمر يا عذراء.. هو ما فهمته بالضبط.

بان الذهول على وجه عذراء وقالت:

- أنت.. مستحيل.. لا اصدق!

- وما هو المستحيل.. أمحرم علي أن أحب.

- ولكن زوجك.

- (كس أخيته)

تمعنت عذراء في وجهها للحظات قبل أن تقول:

- هل أنت في كامل قواك العقلية؟!
- نعم أنا في كامل قواي العقلية.. كفانا نفاقا، أنا أحبه أكثر من روحي.

فصاحت عذراء بنفاد صبر واضح:

- تحبين من يا هديل؟!
- حيّان طبعا.. حبيبـــي حيّان.
- ولكن!
- بلا ولكن.. أنا أحبه وكفى.
- ولكن من هو؟
- آه يا عذراء، هو شخص ظهر فجأة في حياتي، والغريـــب أنه أتى بصحبة زوجي.. يعني فحلي هو الذي أهداني إياه وكان أعظم هدية قدمها لي طوال حياتنا.

كانت عذراء تتابع كلامها وقد بانت الدهشة واضـــحة علـــى محياها.. قالت:

- لم أتوقع منك ذلك.. أنت بالذات، لم أتوقع منك مثـــل هذا.

ضحكت هي وقالت:

- وما الذي تتوقعينه مني.. أو لا تتوقعين؟!
- لا يا هديل إلا أنت.
- ما (إلا أنت) هذه يا شريفة؟.. أنا أحببت و لم أزنِ.

تمعنت عذراء في وجهها مليا قبل أن تتساءل:



- يعني؟!

ولكنها لم تدعها تكمل عبارتها، بل قالت مقاطعة:

- بلا يعني.. قلت لك لم أزنِ.

فقالت عذراء مبتسمة:

- طمأنتني.

ولكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من الضحك وهي تقول:

- وكأن الأمر بيدي.. هو الذي يرفض.. ليته أراد، لمنحته كل شيء.

ارتسمت الدهشة على وجه عذراء قبل أن تضحك وتقول:

- يا لك من عاهرة.. محترفة.. أتجرئين على الاعتراف بهذا؟!

حينها، شعرت بغصة فقالت بصوت هادئ:

- لا أريد أن أكذب عليك يا عذراء، لو أراد، لمنحته كل شيء فهو ليس ككل الرجال.. أتعرفين، لو كنت معه في غابة، فلن يهمني أن أتبين دربي أم لا.. أو ان أرى السماء أو لا أراها، ولن اهتم لأية حيوانات سأرى، لأن عينيه ستكون كعبتي الوحيدة.. وأنت تعرفين أن الأرواح الآسرة، نوافذها عيون، وللعاشقين قلوب مرهفة، فلا غرابة.. أمرتني عيناه، فأحببته.

فقالت عذراء بصوت محايد:

- يااااه.. ألى هذا الحد؟!

فأومأت هي برأسها وقالت:

- حين يطلّ عليّ.. يثب قلبي.. ويستخف الطرب بدمائي، فتبتل عروقي.. تجتاحني حمّى لذيذة، فتسبقني ضحكتي إليه.. أقول له، يا حبيبي الاتقان أمر معرفي، وأنا أعرف،

فقط دعني أحبك كما أريد وستعيش في عـــالم لا تتخيـــل وجوده، ولكنه يرفض.

- يرفض.. إذاً هو لا يحبك.
- أعرف.. ولا يهمني
- لايهمك؟! فأين هي كرامتك؟.

فضحكت بصخب وقالت:

- كرامة! نحن نتحدث عن الحب هنـــا، لا عـــن حـــرب أو قضايا وطنية يا عذراء.. في الحب لا نفكـــر إلا بالاشـــباع وحاجتي لم تكن الا أمرا بسيطا.
- وما هو هذا الأمر البسيط؟!
- قبلة.. مجرد قبلة.

فقهقهت عذراء قبل أن تقول:

- قبلة! وما قد تفعلين بها؟
- لا تضحكي أرجوك، فأنا لم أطلب إلا حقي.. أليست القبلـــة زكاة المحبة وهي استحقاق المحتاجين.. أنا محتاجة يا ناس.

فقالت عذراء:

- كفى تهريجا أيتها المجنونة.. ما الـــذي تريـــدين أن تفعلـــي بنفسك؟

لم تشعر هي بالرغبة في الرد هذه المرة، بل ســـكتت.. فقالـــت عذراء بعدما طال سكوتها:

- ألست مرتاحة في حياتك يا هديل؟

نظرت إليها فشعرت بمحبة كـــبيرة لهـــذه الصـــديقة الطيبـــة الصادقة.. قالت بهدوء:



- أحيانا يا عذراء، لا أعرف ما الذي يصيبني.. فجأة أشعر وكأنني لست أنا.. أقرف من الأشياء وأكره الناس من حولي، فأحاول أن أتصرف بطريقة تضايقهم.. أو في الأقل تفاجئهم.

شعرت فجأة وكأن الكلمات قد بدأت تخونها بعدما دخلت مدخلا لم تتهيأ له جيدا، فيما بقيت عذراء صامتة، تنتظر منها أن تكمل ما بدأته.. قالت بعد أن بذلت جهدا مضاعفا في التركيز:

- أشعر وكأن فجوة تفتح في داخلي وأنا أقف على شفيرها.. أخاف، ولكنني لا أجبن، بل أشعر في أعماقي بأن لدي المقدرة على فعل ما أريد ولو لمرة واحدة، وليحدث بعدها ما يمكن أن يحدث.. أهجر الصيدلية، وأترك اعمالي البيتية وأضيع لأيام وأنا أريد أن أقدم على شيء لا أعرف ما هو.. أشعر بحاجة إلى أحد ينجدني، ولكن كيف لي أن أجده وأنا لا أجرؤ على اخبار أحد.. أظل وحيدة حتى يهدّني التعب، فأعود من منفى أعماقي الجحيمية.

كانت عذراء ابّان ذلك تتابعها بنظرات حانية.. مشفقة.. قالت بعد أن سكتت هي:

- أنا أعتقد بأن ما يحدث لك أمر طبيعي يا هديل.. معاناة على مستوى شخصي في ظروف عامة كظروفكم الحالية لا بد أن تحفر عميقا في وجدانك.. ولكنني أعرفك، بطلة، ولذلك لا أخاف عليك.

عندها فقط شعرت بعبثية ما تحاول قوله لصديقتها، فابتسمت لها بأسى وآثرت الصمت.

آه يا موت، كيف يمكن للقدر أن يعاملنا بهذه القسوة؟..
كيف يمكن للحظة ضعف أو تخاذل.. أو حتى استهتار، أن تغير أقدارنا هكذا؟.. لا، أنا لا أريد أن أحمّل القدر ذنبي، ولكنني والله لم أكن حتى تلك اللحظة مهيأة لأن أفعل ما فعلته، ولكن هذا ما حدث، وأنا لست هنا لأقدم لك كشف حساب، بل أنا أريد أن أحدثك فقط.. أن أبوح لك.

لم يكن لما حدث مع سرمد أن يمر مرور الكرام على نفسي..
بل كان حدثا كبيرً.. أمراً جللاً، سرعان ما أدركت فداحته ما أن نهض عني بعد أن أستردينا أنفاسنا.. شعرت لحظتها بعار رهيب فطردته فوراً.. حاول أن يراوغ ليبقى، تعلل بالشاي، فأغضبني وأثار جنوني.. سببته ولعنته وطردته شر طردة.. طردته ولم أصغ لتوسلاته في الأيام التالية.. كنت خائفة.. مرعوبة، خشية أن يطلق العنان للسانه أمام الآخرين، ومع ذلك لم أرضخ وأصررت على موقفي..
شعرت بوحدة رهيبة أيامها، إذ لم يكن هناك من يمكن أن أشكو له همي وخوفي.. رباه، كيف كان يمكن أن أخبر أحداً ما فعلته بنفسي أساساً؟!.. وهكذا عايشت عاري الذي لم أحسب له حساباً.. عاري الذي تلبسني في لحظة غير متوقعة، عايشته برعب حتى عاد عواد ذات يوم، ففرحت.. فرحت به جداً.. قرفت من وحدتي ومخاوفي فبدا عندما أتى وكأنه طوق النجاة الذي ألقي لي في اللحظة الأخيرة قبل الغرق نهائياً.. قال أنه أتى لقضاء بضعة أيام معنا، فلم أناقشه، بل

تلقيته بفرح صادق حتى إنه تفاجأ كثيراً، سألني ولكنني تفاديت الرد عليه.. ثم منحته نفسي في تلك الليلة، ولأول مرة منذ بدأت حياتنا الجنسية المشتركة، كما لم أفعل من قبل أبداً.. أردت أن أشعر بالمتعة معه، فجاريته في كل ما أراد واشتهى.. ولكن اللعنة!.. لم أشعر بالمتعة التي شعرت بها مع سرمد ولا بلغت الذروة التي أبلغني إياها ذلـــك اللعين.. قدمت أفضل ما عندي لعواد، ولكنني لم أستطع أن أتفاعل معه كما أردت رغم أنه اعتبرها المرة الأجمل في حياته.. في الصـــباح التالي استرجعت ما حدث، فأرجعت الأمر إلى مشـــاعري الســـلبية تجاهه منذ أن التقينا، وهكذا قررت أن أحبه أكثر.. أن أجبر نفســـي على ذلك لكي أشعر معه كما يجب.. أقسم لك يا موت أنني كنت صادقة في قراري ذاك، فقط لكي أكفّر عن ما اقترفته بحقـــه وبحـــق نفسي في تلك الليلة، ولكن اللعين لم يعنّي على الوفاء بوعدي، فقد شاءت المصادفة أن أكون قريبة من صالة بيتنا لسماعه وهو يحـــدث صديقه لؤي الذي زارنا للتهنئة بعودته.. كان يقول "ألا تعـــرف أن الرجل منا يجب أن يحسب لكل شيء حسابه؟.. يجـــب أن أمتطـــي الفرس بين الحين والآخر لكي لا تجمح.. (الكفز) يـــا صـــديقي.. ألست متزوجا يا لؤي، ألا تعرف ذلك؟!".

لم أكن بحاجة إلى ذكاء كبير لأعرف أنه كان يقصدني.. يتكلم عني!.. ابن العواهر.. سليل المواخير ووريث قرون (الگواويـــد).. يأتي (ليكفزني)!.. "أهذا كل ما تجيده يا ابن أمك؟.. اطمئنك، لقد جمحت الفرس أيها التافه، وفات الأوان.. لقد وجدت فارسي، ولا حاجة لوجودك يا عنترة".. كدت اقتحم الصالة لأقول له هذا أمام صديقه فأخزيه، ولكنني لم أجرؤ.. فبيتّها له.

آه يا موت.. آه يا صديقي.. لم أعد أتذكر الآن إن كنت قد حزنت لتلك الكلمات القاتلة الــتي سمعتــها، أم فرحــت!.. لا أعرف.. وحقّك لا أعرف، ولكن الانفعال يكبح عقولنا ويســمح للاشعورنا الخطير بالتصرف.. فحين سمعته يقول تلك الكلمــات، جنّ جنوني وتكالبت الشياطين، كل أنواع الشياطين عليّ.. لم أكن أعرف ما أريد أن أفعله لأنتقم منه لأجل تلك الكلمات.. المهــم، كانت البداية أنني رفضت تلك الليلة الانصياع إلى رغبته.. أنــا لم أعاتبه على ما قال لأنني لم أشعر بالرغبة حتى في تبادل الكلمــات معه، وكان يريدني بشدة ولكنني رفضت.. حاول.. أمر.. توسل، ولكنني لم أستجب، متعللة بعدم رغبتي التي لم أشأ أن أعللها.. فقط رفضت، وهكذا واصلنا ابتداء من تلك الليلــة شــجاراتنا الــتي انقطعت حينما سافر.. تشاجرنا حتى ملّ فسرّع عودته إلى منفــاه الاختياري، لأعود أنا إلى رجلي الجديد.. نعم، ما أن سافر حــتى اتصلت بسرمد ودعوته فأتى.. آه يا موت ما الذي فعلنــاه أنــا وسرمد.. بل قل ما الذي لم نفعله؟.. لقد منحته نفسي هذه المــرة راغبة، فأقبل عليّ مشتهيا ولم يقصر بحق لذتي يوماً.

كان يأتيني كلما حلّ الظلام، ونام ولدي.. يبقى معي حــتى ساعة متأخرة من الليل، أو قل، ساعة مبكرة من الصباح، ولك أن تتخيل ما كان يحدث لأنني لن أجرؤ علــى أن أحــدثك بتلــك التفاصيل.. كانت مهرجانات رغبة يا موت، وشــلالات اللــذة تنهمر علي! فقد أجاد اللعين إدارة مفاتيح جسدي، جسدي الذي بدا وكأنه قد استيقظ من سبات طويل، أو ولد في تلك الأيام فقط على وجه أصح، فعشقته بعدما اكتشفت طاقاته الحقيقية.

ذات يوم، وكان قد تعود في بعض الصباحات أن ينتظرني بسيارته، خاصة في تلك التي لم نكن نستطيع أن نلتقي في لياليها.. كنا نوصل ولدي إلى الحضانة أولا قبل أن نكمل الطريق حتى المستشفى التي أعمل بها.. طبعا كان يتصيد لحظات لذة مني خلال الطريق، ولكن ما يناله لم يستطع يوما أن يجعله يكتفي.. وهكذا استقليت سيارته عندما توقف بها إلى جانبي، على أساس أننا سنوصل ولدي أولاً، ولكنه سار في غير طريق الحضانة.. رفض أن يجيبني على أسئلتي المتكررة حتى شعرت بأننا غادرنا بغداد.. أنا لا أنكر بأنني قد شعرت بالخوف، ولذلك تلاحقت أسئلتي ولكنه رفض أن يجيبني بشكل مباشر، بل راح يراوغني ويتلاعب بأعصابي حتى أخبرني بأننا ماضون إلى الحبانية.. طبعا اعترضت وطالبته بأن يعيدني، ولكن أنّى للعقل أن ينتصر عندما تكون الرغبة خصمه؟.. شعرت في أعماقي بالسعادة والإثارة لما كنت موعودة به في ذلك اليوم الاستثنائي.

أنا لا أعرف كيف دبّر أمر استئجار ذلك البيت في تلك الظروف، ولا همّني أن أعرف، كما لم يهمني أن البيت قد بدا لي وكأنه شبح لتلك البيوت التي كانتها في الثمانينات.. كان بائساً.. بائسا جداً، ولكنني لم أفكر إلا بما سنفعله، وفعلنا الكثير.. هناك، قضينا معظم اليوم عاريين، وفعلنا ما لا يخطر على بال أحد.. كم مرة اقتحمني هناك؟.. لم أعد أتذكر، ولكنه لم يوفر وضعية من الوضعيات التي كنا نراها سوية في تلك (الأفلام) إلا وطبقها.. كان ذلك اليوم حفلا وحشيا للجنس أقمناه، حتى إنه لم يتح لي الفرصة لأن أرضع ولدي، بل.. آه يا موت أعذرني، فأنا أخجل

من أن أخبرك بما فعله وأنا أرضع ولدي.. آه كم نسيء إلى أنفسنا أحيانا عندما تستخف بنا المتعة.. كان ذلك هو الشــيء الوحيــد الذي آلمني في ذلك اليوم الاستثنائي، فأية أُم تافهة كنــت عنــدما ارتضيت بذلك؟!.. ولكن هذا ما حدث.

عندما عدت إلى البيت مع غــروب شمــس ذلــك اليــوم، رأيت عائلة زوجي كلها بانتظاري في الشــارع بعــدما أقلقهــم تأخري.. كان جسدي ينبض بالإشباع وأنا في ســيارة الأجــرة التي استقليتها بعدما أنــزلني على مسافة من بيتنا، وكان عقلــي يشتغل بأقصى طاقاته بعد ذلك اليوم الجهنمي المتعة، فلم أعجــز عن (تسفيط) الكذبات لهم، حتى جعلتهم يأخــذونني بالأحضــان وهم يحاولون أن يخففوا عني معاناة ذلك اليوم (الرهيــب) الــذي عشته!.

لم تكن مغامراتنا من دون مخاطر طبعا، فقد اضــطررت ذات يوم إلى اخفائه في الحمام بعدما قرعت علينا أُم زوجي الباب وهــو عندي.. وكان من حسن حظه أنها لم تكن لتحتمل البقاء عنــدي طويلاً، ولذلك حان اطلاق سراحه سريعا، ولكن حظــه لم يكــن دائما بهذه الجودة، فقد اضطر ذات ليلة أن يبقى علــى الســطح لساعتين أو ثلاث في جو زمهريري، عندما فاجــأتني صــديقة لي بزيارة مفاجئة مع زوجها وهو عندي، ولكن ذلــك لم يحــدث إلا نادرا، فقضينا الليالي التي إلتقينا فيها بمتع ولذات لم أتخيل قبــل أن أعرفه، أنّ لها وجوداً.. أعطى للجنس معنى آخر عندي، بل لنقــل أنه عرفني على النسخة المحسنة منه، ولكنها كانت غير شرعية مع الأسف.. بالحقيقة، كنت أعاني أيامذاك قليلاً من تأنيب الضــمير

بعد كل مرة نمارس فيها جنوننا، ولكنني لم أشعر بالندم الحقيقي إلا بعد أشهر من بدء تلك العلاقة المحرمة.

كان سرمد قد بدأ خلال تلك الأشهر يدّعي بأنه يحبني، ويطالبني بأن أجعل عواد يطلّقني، لكي يتزوجني هو، ولكنني لم آخذ الأمر بجدية أبداً.. لا أعرف، لم أكن أنظر إلى علاقتنا تلك بجدية.. كانت مجرد مغامرة بالنسبة لي، ولم يكن سرمد إلا أداتي لبلوغ اللذة.. بالاضافة، إلى أنني لم أكن أصدق ادعاءاته بالحب.. حسنا، من الصعب علي أن أشرح لك هذا، ولكنني في أعماقي كنت أشعر بأنه لن يكون أحسن حالا من عواد بكثير إن تزوجته.. المهم، تعود سرمد أن يرسل لي بطاقات تهنئة تتضمن كلمات غزل في كل مناسبة، خاصة وأنه بات يعرف كل مناسباتي الشخصية ايضا، وذات يوم، وقعت إحدى تلك البطاقات بيد عواد خلال زيارة له.. أنا لم أعرف كيف حدث ذلك الخطأ، ولكنه قد حدث.. آه يا موت، ألم يكن من الطبيعي أن يأتيني عواد حال اكتشافه للبطاقة ليسألني عنها، ويحاسبني.. أو ليحاسبني حتى من دون سؤال، بل ليعاقبني كما يشاء، فهو في النهاية يجب أن يكون شرقيا، ولا أعتقد أن هناك أمراً يهز الرجل الشرقي مثل خيانة زوجته.. ولكنه لم يفعل!.. التافه.. السافل.. المنحط.. الدنيء.. لم يفعل.. تصور أنه أخذ البطاقة وذهب إلى أهلي ليفضحني عندهم من دون مواجهتي أولا.. أنا لم أفهم يوما لِمَ تصرف كذلك.. ما الذي فكر به، وما الذي كان يخشاه من مواجهتي.. أليس ما فعله خشية من مواجهة؟!.. أنا لا أعرف.. لماذا لم يأت ليحاسبني؟.. والله كنت على استعداد لأن أعتذر منه

حال مواجهتي.. لا، لا، مستحيل أن أفكر بأن أواجهه، بل كنت لأعتذر منه فوراً، وأن أتوسل به أن يستر فضيحتي لأنني سمحت لصديقه أن يغازلني، وأن أعلن له عن ندمي لأنني لم أكن أمتلك وسيلة غير تلك بعد أن انكشف أمري.. ولكنه ذهب إلى أهلي ليثيرهم عليّ كما قد يفعل أي جبان، ثم عاد إلي ليطردني، والحق أقول أنه قد هزمني بمعركته الجبانة تلك، لأنني وجدت أهلي ضدي حين التجأت إليهم، بل أن شقيقي الصغير تجرأ على ضربي للمرة الأولى في حياتي عندما أعلنت لهم أنني سأطلب الطلاق منه.



تساءلت مع نفسها:

- "من أين تأتي أنامله بكل هذا السحر؟"

كانت مستسلمة له كليا وهو يداعب جسدها الملتهب.. تتطلع إليه، فتشعر وكأنه ليس حقيقيا.. بل لعله بدا لها حقيقيا أكثر من اللازم!.. حاولت جاهدة أن تستجيب لرفضها الكامن في أعماقها، ولكن ولعها المفاجئ به، وأصابعه الماهرة التي تعتصر اللذة من كل خلية في جسدها تلامسها، كانا يمنعانها.. لامس خديها وعنقها.. داعب ثدييها وحنّت أنامله على حلمتيها، ثم انحدرت ببطئ، فانبجست لذة عارمة من المكان الذي ظنت أنه واصل إليه.. شعرت بخوف ففكرت بأن تطلب منه التوقف، ولكنها عجزت عن أن تنطق بالكلمات اللازمة.. فكرت بنهاية تلك الملامسات فعرفت أنها واصلة الذروة التي حرمت منها طويلا، في تلك الليلة.. تذكرت مناكدات صديقتها هديل، ففكرت مع نفسها "(بس لا يشوف مخطان الشيطان هناك!)".. ولكنها ولدهشتها، راحت تصيح بشكل محموم:

- استمر.. استمر.. استمر حبيبي.

عدّلت جسدها لتتخذ الوضعية المناسبة، وأغمضت عينيها، ولكنها شعرت فجأة بغياب أثر أصابعه على بشرتها المتحفزة، أدركت أنه سيتوقف فصاحت:

- لا تتوقف ماهر أرجوك.. استمر.. انقذني فأنا في ورطة.. هيا تابع.. استمر.. أقوى.. أقوى.. ألذ.

أمعنت اصابعه في الغياب، ففتحت عينيها، ولكنها لم تره.. كسر بصيص النور المتسلل من بين ستائر نافذتها شوكة الظلمة المحيطة بها فأدركت حقيقة الموقف.. شعرت باحباط لأنه لم يكن أكثر من حلم، ولكنها سرعان ما تمالكت نفسها وأرغمتها على أن تسعد لأن الأمر لم يكن حقيقة.. كانت مغطاة بالعرق، فبذلت جهدا حتى تنهض من سريرها وهي تقول لنفسها:

- أبعد كل تلك السنوات تريدين أن تسقطي هكذا يا سلمى.. تبا لك.

أنارت الغرفة وتوجهت إلى (لاب توبها) الرابض على المنضدة الوحيدة في الغرفة.. فتحته فبدأت الشاشة تعمل حتى اكتملت صورها.. ضغطت على أيقونة (الفيسبوك).. بحثت بين الرسائل حتى ظهرت آخر (دردشة) لها مع ماهر في تلك الليلة قبل أن تنام.. قرأت لبعض الوقت فشعرت بالحرج.. ضغطت على اسمه في أعلى النافذة فظهرت صفحته الشخصية.. بحثت في الاعدادات حتى ظهر لها خيار الحظر فضغطت عليه بالمؤشر.. أغلقت الشاشة وتنفست الصعداء.. نهضت وهي تخاطب شبحا:

- أتريد أن تلعب دور الشيطان معي وأنت بسن ولدي.. مع السلامة.

عادت إلى الفراش لتضطجع عليه.. استعادت ذكرياتها مع زوجها الراحل، فاشتاقت إليه.. اشتاقت كثيرا، ولكن صورة هديل سرعان ما تدخلت، فارتبكت الصور في مخيلتها!.. تداعت مع الأفكار حتى قالت لنفسها "أكبر دليل على شكوكي هي الدموع الغزيرة التي سفحتها عليه أمامي خلال المأتم".. ولكنها سرعان ما

استدركت قائلة لنفسها "ولكن أليس هذا هو أيضاً دليل على مــدى وفائها لي؟!".. عرفت أنها لن تصل إلى نتيجة هــذه المــرة أيضــاً، فنهضت للتوجه إلى الحمام، حيث جعلت المياه المنهمرة تزيل لزوجة العرق عن جسدها.. ارتدت ملابسها وخرجت.. مــدّت ســجادة الصلاة بالاتجاه المطلوب.. صلّت ركعتين قبل أن تجلس على السجادة وهي تردد الأدعية منتظرة سماع صوت الأذان لأداء صلاة الفجر.



آه يا موتي العزيز لو تدري كم جاهدت نفسي لكي أتفادى ذكره مرة أخرى في مذكراتي هذه، ولكنني فشلت.. فشلت بامتياز، وأنا سعيدة لذلك.. فما نفع حياتي إن لم يكن يزينها هو.. فشلت وهأنذا أتذكره الآن لأن وجهه ملأ عليّ حياتي حتى لم تعد ذاكرتي تستطيع أن تعاود نشاطها قبل المرور بملامحه حال استيقاظي من النوم كل يوم.. عجيب كيف يمكن لشخص أن يستحوذ على ذاكرتنا بهذه الطريقة.. ولكنه الحب أليس كذلك؟.. هو الحب بكل تأكيد، وأنا أحببته بالفعل.. أحببته بطريقة لم تخطر لي ببال يوما، ولكنها حدثت.. أنا ما عدت أطيق حياتي إلا لأنه موجود فيها ولا أريد شيئا من حياتي لأن وجوده بات يكفيني.

ولكن ما الذي أردت قوله؟.. آه تذكرت.. أردت أن أتحدث عنك يا حيّان.. من أين ظهرت لي؟ وكيف أمكن لذلك التافه أن يدخل ملاكا مثلك إلى حياتي؟.. ولكن هذا ما حدث، ولا أعرف ما فائدة السؤال ما دام الأمر قد حصل بالفعل!.. أنا ممتنة للظروف التي جعلتك تظهر في حياتي، بل أنا ممتنة حتى لعوّاد لأنه اصطحبك إليّ.

نعم يا موت، أنا أحبه.. أحب حيّان.. أحبه بطريقة لم يخطر لي ببال أنني قادرة عليها وأنا اللاهية العابثة كما كنت أتصور نفسي.. ولكنني قدرت، وهأنذا استطيب الحياة لمجرد أنها تعدني بلقياه بين الحين والآخر.. آه يا موت، ما أحلى الحب حين يتملك علينا مشاعرنا.

تبا لهذا النسيان.. قبل أن أبدأ، يكون وجداني مثقلا بالأفكار، ولكنني ما أن أمسك القلم حتى تتطافر الأفكـــار مبتعـــدة عـــني وابقى أتطلع في أوراق هذا الـــدفتر ببلـــه.. لم يحـــدث هـــذا لي يا موت؟!

فاجأت أهلي تماما.. وما أدراك ما أهلي.. هم الذين ابتلـــوني ببعلي.. بئسا له من رجل.. فاجأهم بأن قررت في اليوم التالي مـــن لجوئي إليهم بعد طردي من بيتي، أن أتحجب.. أبـــــي لم يتقبـــل الأمر طبعا، ولكنه لم يستطع منعي من تنفيذ قراري على الفـــور.. عدت إلى الحجاب كما فعلت تماما يوم عاقبتني أمي ذلك العقـــاب الرهيب.. آه يا موت، لماذا عـــاقبتني بهـــذه الطريقـــة.. أجـــبني يا موت.. لماذا؟!.. ولكنه كان رهيبا وأنا كنت مجرد طفلة!

لا تسويغ عندي للأمر يا صديقي فهكذا كنت أواجه الأمـــر كلما شعرت بالذنب لأمر ارتكبته ولطالما صليت ركعتين.. أو حتى صليت لأيام كلما شعرت بأنني قد اقترفت شيئا سيئا.. ثم أعود إلى سيرتي الأولى.. أنا يا صديقي بامكاني أن أكذب على الكثيرين فأنا ذكية.. ذكية أكثر مما يتصور المحيطون بـــــي.. كـــذبت علـــيهم ونجحت، ولكنني لا أود أن أكذب عليك.. الدين لم يكن خيارا لي يوما، ولكن يبدو أنني كنت ألجأ إليه كلما ســـدّت الأبـــواب في وجهي.. هذا ما يبدو لي الآن.. أنا أعاني يا موت كثيرا من أجـــل التركيز وتذكر ما أريد قوله فسامحني إن أغفلت بعـــض الأشـــياء لأنني على يقين من أنك ستفهم ما أريد قوله بالضبط.. هل كنـــت أعي ذلك في حينها، أنا لا أتذكر الآن، ولكن الخيار الســـماوي لم يكن خياري الروحي دائما.. هذا ما أنا متأكدة منه الآن.

المهم.. (تحجّبت) وبدأت حملتي الايمانية الخاصة، تزامنا مـــع العامة، أقصد حملة الدولة، باصرار، وأنا أحاول بأقصى طاقاتي أن أحقق مخططي للخلاص من هذا الـــ (عوّاد) الذي ابتليـــت بـــه، ولكنني لم أجد إذناً صاغية عند أحد.. بل أن الحقيقة هي أن الرياح بدأت تهبّ عكس ما تشتهيه سفني ومبادرات الوســـاطة المعتـــادة تنهمر.. آه كم أكره الآخرين حين يحشرون أنوفهم فيما لا يعنيهم وهم يتصورون أنفسهم يعملون خيرا!.. أصبح تـــواتر الضـــيوف على بيت أهلي بغية اصلاح الأمر كما يـــدّعون مـــن الأحـــداث المعتادة حتى اضطررت للرضوخ للمطلب العام بالعودة إلى زوجي، خاصة أن حنيني ولهفتي إلى ولدي الذي حرمني الظالم من رؤيتـــه طوال المدة التي قضيتها عند أهلي، قد أضنياني.

نسيت أن أخبرك يا موت.. مؤخرا بدأت أشعر بأن هناك من يراقبني ويعدّ علي خطاي.. من يكون، لا أعرف.. ولكنه يمكن أن يكلف أحد بفعل ذلك لأنه لم يكفّ يوما عن الشك بـــي، ولكنني لن آبه.. ليفعل ما يشاء.. المهم، حين عدت إليه بعد تلك المشكلة الكبرى، فرح بـــي.. كان ذلك واضحا عليه رغم تصنعه عـــدم الاهتمام، وحينها فقط اكتشفت أن خياله لم يسعفه في تصور أن ما حدث مع سرمد يمكن أن يتعدى فكرة أننا تبادلنا البطاقـــات، أو حتى الرسائل، فحسب.. حب افلاطوني يعني.. يـــا للمســـكين!، ولكن هذا كان ما طيّب خاطري في حينها، وأعاد إلي شـــجاعتي وثقتي بنفسي وهو ما سمح لي أن أصرّ على مواقفي معه، فقد عدت مع يقين كامل بأن حياتي مع هذا المخلوق لا يمكنها أن تستمر إلى ما لا نهاية، فقد قضى بجبنه الذي عبّر عنه في أول مواجهة مصيرية

له معي على أي أمل في أن تتحسن علاقتنا المتهاوية، يوما.. كنت قد انتهيت منه نهائيا في داخلي ولكنني لم أكن أعرف كيف يمكن أن أتصرف في قضية ولدي الذي حرمني منه طوال المدة التي قضيتها في بيت أهلي.. لم أكن قادرة على تكرارها، وهكذا أجبرني ولدي على أن أتحمله وإن على مضض.. بعد العودة، عشنا أياما عصيبة تعددت فيها شجاراتنا بسبب رغبته بي.. كان يريدني، ولكنني لم أستسغ أبدا فكرة أن أجدني بين ذراعيه مرة أخرى.. حاول وهدد وغضب.. بل أنه تجرأ على ضربي مرة أو مرتين، ولكنه لم ينل شيئا حتى أسقط في يده، فقرر فجأة أن يعود إلى عمّان لكي يهتم بأموال الأسرة كما قال في أول مرة.

آه يا موت، كيف يمكن للبعض أن يكرروا أخطاءهم بهذا الاصرار الغريب؟.. بدأت أتعب كثيرا وأعاني في الكتابة لك يا عزيزي لاضطراري للعودة إلى ما سبق وأن كتبته مرارا وتكرارا كلما نسيت ما كنت في سبيلي إلى كتابته.. المهم، فبعد تجربته المريرة مع سرمد الذي لم أعرف ما حدث بينهما بسببي وهو صديقه المقرب، عاد وأصرّ على أن يكل أمري إلى واحد من أصدقائه، هذه المرة أيضا!.

سلّم (شحمته) هذه المرة إلى صديقه الطبيب لؤي، وذهب.. لؤي الذي نقل إليّ ذات مرة رسالة من سرمد المتوسل لاعادة العلاقات بيننا بعد الزلزال الذي حدث.. تصور يا موت، نقل لي رسالة من سرمد الغبي، فحدس، ومن يومها لم تسقط نظرة الاشتهاء من عينيه كلما رآني.. حاولت أن أتفاداه طبعا وأنا في خضم (حملتي الايمانية) ولكن ذلك كان مستحيلا بسبب قوة

الروابط ما بيننا، فقد كان صديق عوّاد المقرب، ووصيّه علـــي.. وهو زوج صديقتي.. ملاكي.. الانسانة الأقـــرب إلى روحـــي.. سلمى.

بعد سفر (الشفيّه).. دأب لؤي على محاصرتي كلما حضـــر صباحا ليوصلني إلى المستشفى على أساس أن زوجي طلب منه أن يرعاني وان لا يجعلني محتاجة إلى شيء، كنت أرفض طبعا، ولكنه لم يكلّ، ولم يتراجع يوما.. حتى إنه لم يتورّع عن جلب زوجته الـــتي أحبها وأولاده في زيارات مستمرة، فقط ليراني وليوصل اشـــاراته المتواصلة إليّ.

أتعرف يا موت كم أضحك على أفكار الناس الذين يتصورون أن الزانية تستيقظ صباحا فتقول لنفسها "أشـــعر بالملـــل.. اليـــوم سأزني".. يتصورونها كتلة من خطيئة اتخذت شكل امرأة.. لا.. لا، أنا لا أقصد أنني زانية، ولكنني أزعم أنني أفهم نفســـيتها ولكـــن.. ألست زانية؟!.. آه يا موت أنا أحبك لأنني أشعر بعـــدم الحاجـــة لتسويغ شيء لك.. أنا لا أعرف لِمَ لا يتوقعون أن الزنا يأتي نتيجـــة لأشياء يومية معتادة أحياناً.. أو يأتي فجأة.. أو يحـــدث والمـــرأة لا تتوقعه.. متى يفهمون أن كيميائية المرأة تختلف عن فيزيائية الرجل؟! ولذلك تراها لا تغتصب الرجل كما يفعل هو معها.

حاصرني، ولكنني صمدت لأسابيع طوال، حتى كـــان يـــوم وجدته بانتظاري عند باب المستشفى عندما خرجت بعـــد انتـــهاء الدوام.. قال أن سلمى قد ألحّت عليه أن يمر عليّ ليأخذني معه إلى بيتهم لأتناول طعام الغداء معهم.. لم أشك به، ولكننا حين وصلنا إلى بيتهم لم نجدها هناك، فقال لي أنها قد ذهبت إلى بيـــت أختـــها

لشأن خاص بها، وستعود قريبا.. لم أشك به مرة أخرى لأن أولاده كانوا يلعبون في الطابق الثاني.. وضعت ولدي الذي جلبناه سوية من الحضانة في سرير بعدما نام، وذهبت لأغسل وجهي، وأنا على المغسلة، شعرت فجأة بيد قوية تحيط بـي، وأخرى تكمم فمـي.. حملني وهو يهمس في أذني أن "لا تخافي أرجوك".. حاولت أن أقاوم ولكنه كان أقوى مني بكثير.. لم أستطع أن أرفع صوتي وأنا أفكـر بالفضيحة فيما لو رآنا أحد أولاده ونحن علـى تلـك الحالـة.. توسلت به أن يتركني بصوت هامس، ولكنه دخل بـي إلى غرفة وألقى بـي على سرير وسارع إلى قفل الباب بالمفتاح.. توسـلت به.. هددته، ولكنه كان قد بدأ طقوس الأغواء التي لم أسـتطع أن أقاومها طويلا.. فاستسلمت.

هكذا ترى يا موت أن الرجال الثلاثة الذين عرفتهم قد بدؤوا علاقاتهم معي بالاغتصاب، حتى إنني بدأت أؤمن بـأن الاغتصـاب غريزة عند الرجل.. صحيح أنني وافقت على الاسـتمرار معهـم، الأول لأنه زوجي.. (گوادي) طبعا.. والآخران لأنهمـا حققـا لي اللذة التي كنت أفتقدها، ولكن ذلك لم يكن في حسباني لولا أنهمـا عبرا بـي محنة التجربة الأولى بالاغتصاب، فـالخطوة الأولى هـي الأصعب دوما وما يحدث بعدها مجرد تحصيل حاصل.

(هاي شلون شغله ويه النسيان؟.. منا أريد أحچـي، ومنـا كلساع أنسى شأريد أحچي.. والله تعبت، وطگّت روحي.. يابـه ديلله عليش مضوجه نفسي.. يا موت يا ذكريات.. طـز بكـل شي.. دروحووووووووووووووو.)

ظهرت صفحته الفيسبوكية أمامها، فطالعها وجهه الباسم في صورته التي تتصدرها.. لم تتردد في الضغط على خيار الرسالة ليظهر المستطيل اسفل الزاوية اليسرى للشاشة.. حركت أصبعها سريعا فوق لوح المفاتيح، ولكنه جمد قبل أن يضغط على الحرف الذي أرادت أن تبدأ به كلمتها.. تدوّمت دوائر حرف الهاء وهي تنظر إليها أسيرة حيرتها.. أتضغط أم لا؟!.. ولكنها سرعان ما تجاوزت حيرتها وحزمت أمرها فضغطت على الحروف بسرعة من تعود استخدام ذلك اللوح السحري، فظهرت رسالتها واضحة داخل المستطيل:

- هلو ماهر.

ارتدت لتريح ظهرها على كرسي الحاسبة وهي تدرك أن انتظارها سيطول رغم أنها تأكدت من وجوده من خلال تعليقاته التي قرأتها للتو.. أو لعله لن يجيب!.. ولكن لِمَ الاستعجال؟ فلتنتظر وترى، ثم تقرر.. طالت عليها الثواني حتى انقضت دقيقتان أو ثلاث قبل أن يقفز قلبها فجأة حين قرأت تحت رسالتها:

- أهلا هيفاء.

وقبل أن تضغط على أي حرف، عاجلتها رسالة أخرى:

- تفضلي.

تسلل الارتباك إلى يقينها الذي كتبت به رسالتها الأولى، و لم تعد تذكر أي من الجمل التي رتبتها في مخيلتها وهي تعدّ سيناريو هذا

الاتصال الذي فكرت به طويلا منذ أن قطعت علاقتها بسهاد.. نقرت بأصابع مرتجفة، فظهرت جملتها أمامها في مستطيل الحوار:

- أهلا ماهر كيف أنت؟

لم يطل انتظارها هذه المرة إذ سرعان ما ظهرت رسالة تقول:

- أنا بخير، ماذا تريدين؟

اشتدّ ارتباكها هذه المرة إذ بانت جملته خشنة جدا بالنسبة لها..

قررت أن تناور.. نقرت:

- (على كيفك ويانه يا حلو)
- ومتى تذكرت أنني حلو؟!
- لم أنس حتى أتذكر.
- هيفاء!
- ماذا؟
- لا تتذاكي أرجوك، أنت تعرفين عمّ أتحدث.
- أنا آسفة.

حقا أنا آسفة.
- بهذه البساطة؟ أنا آسفة!
- كان ما حدث خارجا عن إرادتي.
- عجيب!
- وما وجه العجب؟
- أن تقولي خارجا عن إرادتي!

فقد تصورتك امرأة ناضجة.
- ومن قال أنني مراهقة؟

- أُمك التي أتتني بدلا عنك يوم تواعدنا في النادي.
- هي ليست أُمي.. هي صديقتي.
- هههههههههههه شكرا للايضاح.
- قلت لك آسفة.
- حسنا سيدة آسفة، ما الذي تريدينه مني؟
- لا شيء، فقط أردت الاعتذار.
- هيفاء!
- ماذا؟
- أهذا كل شيء، الاعتذار فقط؟.

لم تستطع أن ترد بسرعة هذه المرة.. تمنت لو كان أمامها في هذه اللحظات لكي تستطيع أن تتبين حقيقة ردود فعله من وجهه، ولكنها كانت تعرف جيدا أن التمني لن يفيدها الآن.. راح دماغها يعمل بسرعة كبيرة لاقتناص فكرة تقولها لا تبدو فيها متلهفة، ولكن تبقي الباب مفتوحا للحوار معه.. كتبت:

- حسنا.. إشتقت اليكَ أيضا.
- يا عيني، اشتقت إلي، وبعد؟

أرادت أن تشاغله قليلا حتى تستجمع تركيزها وحضور بديهيتها فضغطت على طلب الصداقة.. انتظرت ثوان طوال قبل أن تظهر رسالته الجديدة:

- ما هذا؟
- ماذا؟
- أتتوقعين مني أن أقبل بصداقتك مرة أخرى بعد أن حذفتني بتلك السهولة.



فكتبت على الفور:

- كلك كرم.
- يا محتالة!
- ههههههههههههه.
- فماذا بعد ذلك؟
- أن نرجع أصدقاء.
- قصدت بعد أن نرجع أصدقاء.
- أليست الصداقات جميلة؟
- نعم، حين يرافقني صديقي إلى المقاهي، ويناادمني عند الشرب ويسهر معي في الملاهي.
- ولكنني لا أستطيع فعل ذلك!
- فما فائدة صداقتك إذاً؟
- هناك فوائد أخرى.
- ما هي؟
- أنت تعرف.
- كلا، لا أعرف، عرفيني.

لم تعرف بم ترد فوراً، بل احتاجت إلى ثوان طوال قبل أن تحزم أمرها.. تحركت أصابعها بتثاقل على الحروف:

- أحتاجك.
- بم تحتاجينني؟
- أنت تعرف
- قلت لك، أنا لا أعرف شيئاً.
- أنقذني.

- كيف؟.. أتحتاجين مالا؟
- ههههههههه لا تكن سخيفا ماهر، أية أموال؟
- فما تريدين؟
- أنت تعرف.
- أخبريني.
- أريدك.. سبق وأن تحدثنا بهذا.
- أحتاج إلى تأكيد، قوليها.
- حسنا.. أريد رجولتك.
- لماذا؟ ألديك امرأة تريدين مضاجعتها؟

شعرت برعب هائل حينما قرأت هذه الكلمات، معقـــول؟!..

نقرت باصبع مرتجف:

- ماذا تقصد؟
- أنت تعرفين.

كادت تبكي هذه المرة وهي تفكر "اللعنة، أيمكن أن يعرف؟!"

ومع ذلك لم تستسلم، قالت أصابعها:

- أعرف ماذا يا ماهر، أرجوك كن واضحاً.
- أمرك عجيب، ألم تقولي أنك تريدين رجـــولتي؟ أريـــد أن أعرف ماذا تريدين أن تفعليه بها، أليس الكلام واضحاً؟

انحسر رعبها بغتة واطمأن بالها فغردت أصابعها:

- ههههههههه أريد رجولتك لي.
- لماذا؟
- أوووووووووووووووووه، ماهر لا تكن حقيراً.
- أنا الحقير؟ سامحك الله.



- آسفة ولكنني محرجة.

لم يرد هو سريعا هذه المرة، فتابعت:

- أحتاج إليك ماهر أرجوك.

لم يطل انتظارها هذه المرة إذ سرعان ما ظهرت كلماته واضحة في ذلك المستطيل الشيطاني:

- أفهمك جيداً ولكنني لا أثق بك.
- لماذا لا تثق بـــي؟
- أنسيت ما فعلته في المرة السابقة؟

حين تواعدنا.

- حدثتها فتورطت.

كنت غبية.

- فما تغير الآن؟
- حاجتي.
- ولِمَ تحتاجينني وأنت بهذا العمر.. ألم يكفك زوجك؟
- تلك كل المشكلة يا ماهر.. العمر.
- كيف؟
- يطول الشرح وهو صعب أساساً.
- أخبريني.
- وأنا شابة لم أفكر يوما بأن ألجأ إلى غير زوجـــي.. بـــل لم أكن مغرمة بالجنس أساساً.
- لا يبدو كلاما منطقيا!
- هو الحقيقة بغض النظر عن منطقيته.
- اشرحي لي.

- المرأة منا حين تتزوج تكون بلا خبرة البتة، فتظل في بداية حياتها الزوجية مجرد دمية يفرغ فيها زوجها، الذي لا يكون أفضل خبرة منها بكثير، ولكنه مجرب على الأغلب، كل رغباته متى ما شاء من دون أن تفهم من الأمر شيئا، بل أنا أعرف الكثيرات يكرهن الجنس بسبب ذلك.. تحتاج إلى سنوات حتى تعي ما يحدث، ثم تبدأ بتكوين مفهومها الخاص باللذة معتمدة على تجاربها المستلة من فراشها الزوجي وتكون العملية بطيئة بسبب خجلها واحجامها عن السؤال.
- (على كيفچ ويابة يمعودة)
- هذا أحسن ما عندي، تقبله مني أو اعتقني.
- حسنا، قولي.
- نستهلك حياتنا ونحن نحاول أن نفهم هذا الأمر الغامض الذي يسمى الجنس، وحين نقترب من فهمه ونبدأ بالتعرف على ملذاته الحقيقية، يكون شركاؤنا قد قاربوا أوان النضوب، فما هي إلا سنوات قليلة من جنة الفراش حتى يتقاعدوا فنبقى نحن نعاني حتى تنطفئ جذواتنا اضطراريا.
- لم أفهم شيئا!
- (يطبّك مرض)
- ما هذا هيفاء؟!
- آسفة، ولكنك تبدو وكأنك لا تريد أن تفهم.

حسنا، لأقلها لك بطريقة أخرى.. أتريد أم لا؟
- طبعا أريد، (زوج الي ما يريد)

- حسنا، أنا حاضرة.
- لاااااااااااااااااااا ليس بهذه السهولة هذه المرة.
- ماذا تقصد؟
- أريد ضمانات.
- ما هذا الذي تقوله.. أية ضمانات.
- أريد أن أرى ما أنا موعود به أولا.
- وبم أنت موعود؟
- جسدك أقصد.
- جسدي!
- (لعد جسد عمتي؟)
- ولكنك ستراه طبعا، فقط تدبّر أمر المكان.
- لا، أريد ضمانات، في المرة السابقة لم أرَ فغدرت بي.
- في تلك المرة أخطأت باخباري صديقتي، في هذه المرة لن أفعل.
- مع ذلك أريد.
- أرجوك ماهر.
- لا.
- ما الذي تريده بالضبط؟
- افتحي لي الكاميرا لأراك.

كانت تعرف أنها منفذة ما يطلبه منها، ولكنها شعرت بغصة لأنها كانت تعرف أيضا أنه سيبالغ في طلباته، وهي تخشى المفاجآت غير السارة.. ومع ذلك قالت من خلال مفاتيح لوحها:

- حسناً.

ضغطت على الزر المطلوب فظهرت صورة وجهها وهو يحدّق في الشاشة، ولكن ابتسامة أضاءته حين طالعها وجه ماهر فجأة من خلال المربع الصغير الذي ظهر.



ما هذا يا أمي؟! حين ولدتني، وعدتني بدنيا جميلـــة ورائعـــة، هذا ما أكدته لي بنفسك مرارا وتكرارا!.. أهذا هـــو مفهومـــك عن الدنيا الجميلة؟!.. لم أعهدك جاهلة، فلم لم تنبهيني إلى هذا؟!.. آه يا أمي، لم كذبت عليّ.. وآه يا زمن يا غدّار.. لا أعرف كيف أكمل!.. ولكن على كل حال، لِمَ كل هذا الظلـــم؟!.. أمثلـــي تصل إلى هذا المصير؟!.. لم يبق شيء لم نفعله أنا ولؤي.. الدكتور لؤي.. أحببته أنا كثيرا، وهو عشقني.. أو لعله لم يفعل، ولكنني لم أهتم لذلك ما دام يشبعني ويرضـــيني.. لقـــد أحببـــت جســـده الرياضي.. بل عشقت ابداعه في فنون الجـــنس.. آه تـــذكرت.. لم يا غدّار.. لم أصليتنا بنار.. لم كان عليـــك أن تجلـــب لنفســـك العار، فتؤذينا ونحن أجمل من الجلنار.. آه لا.. تبدو سيئة جـــدا.. بل بائسة.. كان يتقصد لبس السراويل القصـــيرة حـــين يـــأتيني بسيارته في الصباحات ليوصلني.. كان يجعلني ألامســـه، ويظـــل يلاعبني وهو يسوق حتى تصطخب شياطيني.. كان رائعا.. مجنونـــا بشكل لا يصدق حتى إنه ترك الرجل يموت وهو يحتضنني لأنـــني شعرت بالخوف حين سمعت حشرجة الموت.. كـــان يصـــطحبني معه خلال عياداته لمرضاه في بيوتهم.. ولأننا كنا نرجـــع في الليـــل معظم هذه الأحيان كنا نستغل الظلمة وغاب القط العب يا فار.. فار.. عار.. نار.. غدار.. جلنار!.. كان جريئـــا بشـــكل غـــير معقول وعلمني الجرأة فلم أتورع عن اقتراف كل ما كان يطلبـــه

مني، ولطالما مارسناه في صالة بيتــهم والثــور نــائم في الغرفــة كالكبش.

ذات مرة فكّــر أن يضــيّق لي صاحبـــــي.. أن يعيــد إلى عصفوري سحره وشبابه بعد اصابته بضرر نتيجة لولادتي لابــني الأول.. أقصد الثاني.. هو طرح علي الفكرة بعد أن طلبت منــه النصيحة بشأن أية طبيبة نسائية أراجع.. قلــت أن زوجــي لــن يرتضي بأن يقوم طبيب ذكر بذلك، ضحك وقــال أنــه كفيــل باقناعه.. "ألا تعرفين مدى بخله، سأجعله يوافق لأنني لن أتقاضــى أجرا".. والغريب أن العملية كانت بمالي أنا لأنه لا مصــدر رزق له غير صيدليتي أنا.. فعل لؤي ما أراد.. اللعــين!.. المهــم أنــه نفذها ولكن فحلي خرّب له مخططه حين أغار علي بعــد أربعــة أو خمسة أيام مسببا لي آلاما ونــزفا جعلا لؤي يكيل لــه كلامــا بالغ القسوة في بيتنا.. يا لله كيف بدا وكأنه حمل تائه وقع تحــت رحمة ذئب غاضب.. أعاد لؤي الرأب بخيوطه البارعة ونال مبتغاه هذه المرة بأن افتتح مشروعه بنفسه وكان سعيدا جدا به.. وطبعا كنت أنا في قمة النشوة والسعادة.. يا لهذا الليل الــذي يــأبى أن ينتهي.. لن أذهب.. نعم لن أذهــب إلى المستشــفى في الصــباح وليفعلوا ما يشاؤون.. (أجلبنك يا ويلي يا ويلي اضنعش تجليبة.. هچع)

(تنام الناس الليل وآنه ولا أدري به.. هچع..)

(هچع).. وجع.. فزع.. فجع.. صرع.. (اي والله صرع)..

ما الذي يجري لي؟!.. يجب أن أركز وأنا أخاطب سيدي المــوت.. آسفة، فعلنا أنا ولؤي أشياء كثيرة.. كثيرة جداً، وكنت سعيدة به،



ولكن هذا لم يكن بلا ثمن.. طبعا يكون هناك ثمن دائما، ولكن اللذة القصوى كانت تجعله ثمناً مقبولاً.. قال لي مستحيل.. لا أقبل ذلك.. ستتأذين، ولكنني أصررت ففعلناها في الصالة وهو نائم في الغرفة المجاورة وأولاد لؤي نائمين في الطابق الثاني وزوجته غائبة.. آه يا سلمى كيف فعلت بك كل ذلك؟.. ولكننا فعلناها ولم تكن تلك المرة الأولى التي نفعلها، ولكننا فعلناها.. تأذيت طبعا، ولكنني شعرت بلذة وحشية في النهاية بسبب متعة الانتقام.. كيف يجرؤ ابن الكلب على طلب ذلك مني وأنا زوجته.. ما الذي فكر به؟!.. هل تمكنت منه الشهوة؟ فهل أنا دمية شهواته؟.. كان أداؤه جيدا في تلك الليلة.. بالحقيقة كان أداؤه جيداً دائما والسبب كما قال لي لؤي أن الاداء المتميز المستمر يحتاج إلى رجل بلا مشاعر.. بلا هموم.. يحتاج إلى حيوان ولذلك تتناسل الحيوانات جيدا دائماً لأنها لا تهتم لما يحدث من حولها.. ولا تقيم وزناً لمشاعر شريكاتها.. ولكن أصحيح أنها لا تقيم وزنا لتلك المشاعر؟!.. أنا غير متأكدة، ولكن لم يبد عليه يوما أنه كان يقيم وزنا لمشاعري كلما (بطحني) على الفراش.. آه يا موت، لِمَ أخذت أبي مني، فأنا بحاجة إليه جداً الآن.. بل أنت أخذتهما سوية.. أبي وأمي.. لِمَ فعلت ذلك؟.. (غريبة من بعد عينچ يا يمّة).. لِمَ يا موت تفعل هذا بي وأنا لم أؤذي أحدا.. لا لا، أبي فقط هو من أشتاق إليه، لأنني لن اسامح أمي على ما فعلته بي.. معك أنا لا أحتاج إلى أقنعة، ولذلك نعم حسنا فعلت لأنك أخذتها.. لِمَ فعلت ذلك بي؟.. لِمَ جعلت عالمي ينهار بكل تلك القسوة؟!.. ولكنه كان أخي.. كان أخي يا موت! آه، لا أعرف كيف أفكر.. لا أعرف

كيف أشعر، فقط أنا لا أشعر بالهدوء الآن.. اشعر وكأن بركانا يحتدم في داخلي، ولكن لِمَ حدث هذا لي؟.. أنا أردت فقط أن أعيش حياتي بسلام، ولكن هيهات فلا سلام ولا أمان لهذه الدنيا..
كان أداؤه ممتازاً في تلك الليلة.. ولطالما كان كذلك ما دمت مغمضة عيني وأنا أفكر بلؤي.. ولكنه توقف فجأة وطلب مني بصوت جعله الانفعال أجشاً، أن أغيّر وضعيتي.. كان أمراً طبيعياً أن يطلب مني ذلك ما أن يتملكه الحماس في أثناء الجماع، ولم أكن لأعترض لأنني أنا الأخرى أحب تغيير الأوضاع منعاً للملل، ولكنني ما أن فتحت عيني حتى لاحظت الارتباك الذي يظهر على وجهه عندما يطلب مني ما قد يثير غضبي.. ساورني شك فتساءلت "لماذا؟".. إزداد ارتباكه.. حاول أن يراوغ ولكنه اضطر لأن يخبرني بما يريد تحت ضغط الحاحي.. آه يا موت ليتك تعرف ما شعرت به في تلك اللحظات.. أيمكن أن تبلغ به الحقارة أن يطلب مني ذلك الشيء.. ابن التي لا صامت ولا صلت، بل قضت حياتها في العهر.. ابن المسخة.. ابن الوسخة.. ابن المتفسخة.. يريد أن.. يا للحقير! كيف يجرؤ؟!.. تسربت اللذة من خلايا جسدي، وجفّت الشهوات ففقدت الرغبة بالمواصلة وطلبت منه أن يبتعد عني.. توسل، فأبيت.. غضب وصاح، فصحت بصوت أعلى، وعندما حاول أن يستخدم القوة دفعته بقوة واشمئزاز وأنا أصيح:

- إياك أن تفكر.. مجرد تفكير أيها النذل.

احتلت وجهه امارات المفاجأة، وبانت عليه ملامح الخوف للحظات، ولكنه سرعان ما استعاد توازنه، وراح يعربد و(يلوّص)



حتى كانت مفاجأته الكبرى حين هددني بأن يوصل الأمر إلى أهلي.. تصور يا حيّان، يطلب مني ذلك ويهددني بأهلي!.. ابن الرعناء!.. أرأيت إنساناً أتفه من هذا الرجل؟!.. حاشا الرجال منه.. ضحكت يومها كما لم أضحك من قبل أبداً.. تمرغت في الفراش عارية، وأنا أضحك.. آه يا موت، أنا لا أعرف متى نكون على حق في مواقفنا، ومتى نستغل المسوغات لنمعن في أنانياتنا بحثاً عن أهوائنا، أو أن نتمتع بلذة الانتقام.. بدا عليه لحظتها وكأنه استمرأ استعداء أهلي عليّ، ولكنه كان على خطأ فاضح هذه المرة.. صحت:

- أرجوك إفعل.. هيا لنذهب إليهم على الفورً.

ظهر البله واضحا على وجهه، ولم يبد عليه أنه يفهم ما أقول.. قلت مواصلة هجومي:

- أرجوك.. هيا.. والله لأفضحنك.. سأقول لهم ما تريده مني.. (وداعتك) لن أتردد، بل سأخبرهم كما سأخبر أهلك.. بل سأخبر حتى أصدقائك.

احمرّ وجهه من شدة انفعاله، ورفع يده ليضربني.. صحت:

- هيا اضرب.. اضربني وأعنّي على ترددي.. اضرب لو كنت رجلاً.

ولكنه لم يشأ أن يكون رجلاً، بل ابتعد عني وهو عارٍ ويدمدم بغضب.

آه يا لؤي، ذهبت، ولكنك ما زلت في الوجدان.. وأنا أبحث عن السلوان.. أنت تغريني بالذي كان، ولكن تباً لنهش العقبان

وحفلات الديدان.. ترى كيف تطايرت الغربان، وتسلل ابن آوى كالجبان، كما يجدر بالخصيان؟.. نم مطمئناً حبيبـــي فبعدك لم يبق لي فرسان!

حاولت ان أتناسى الأمر، ولكنني لم أســتطع.. بــل.. هــل فكرت فعلاً بتناسي الأمر؟!.. لم أعد أتــذكر، ولكنـــه لم يبـــد لي منطقيا عندما كتبته.. لا أعرف، لعلي فكرت، أو رفضت حتى أن أفكر، ولكن كان أول شيء فعلته عندما اســتيقظت في الصـــباح التالي هو الاتصال باخته.. صديقتي وشريكتي في رأيي السيء به.. تصور يا موت، أخته!.. شقيقته.. كانت أمينة سري عندما أريـــد أن أهجوه.. أن اخفف عن نفسي بغضاءه، بالبوح.. أخبرها بمـــا حدث.. يا لله لِمَ لَمْ أخاطب حياناً بدلا عن لؤي، فهو الذي أحبه بالفعل.. والأهم هو أن اسمه يلائم القافيـــة أكثـــر!.. غربـــان.. خصيان.. عقبان.. ديدان.. حيّان.. أوه، سأعيد النظر في الأمـــر بوقت آخر.. ولكن، أيستحق اسم حيّان أن يقرن بهذه الأشـــياء المقرفة؟.. طبعا لا.. ولكن!.. أيستحق لؤي ذلك؟!.. لا، ســأفكر بالأمر في وقت آخر.. أخبرت أخته بما حدث، فبدأت تبكي وهي تعتذر مني.. أواه يا صديقي لكم تمنيــت لحظتــها أن أحتضـــنها لأمسح دموعها التي سفحت لذنب لم تقترفـــه.. أن أشـــدها إلى صدري حتى تذوب فيه.. كيف يمكن لمثل هذا المـــلاك أن يكـــون أختاً لذلك القميء؟!.. أقلقتها وأحزنتها فشعرت بتأنيب الضمير، ولذلك قررت أن أتناسى الأمر من أجلها، ولكن هيهات، فسرعان ما أدركت أنني قد أقلقت راحة تلك المخلوقة العزيزة من أجل لا شيء لأن الرغبة بالانتقام لم تزايلني حتى هيأت لي الفرصة عنـــدما

واتتني الفكرة يوم قال لي لؤي حين كنت معه في سيارته أنه يشتهيني جدا، فقلت له على الفور:

- (الله وإيدك)

وحين دبّر الأمر، وهيأ الظروف، فاجأته بطلبي، فرفض.. ألححت، فقال إن الأمر سيؤذيني.. أصررت، ففعل والنذل يأخذ قيلولته الغالية في الغرفة المجاورة!.



جمّاره فؤاد

شلونك عواد

اهلا جماره

اشو مختفي

وينك

ملتهي والله

بشنو

ببلوتي غير

خير انشاالله اشو بلوه

مشاكل يا جماره

مو كلتلج

ماساه والله

شنو احجيلي

مو حجيتلج يا عيني

شحجيتلي

شوكت

مرتي يمعودة

والله حياتي دمار

شكو

كولي

كلتلج مرتي

شبيهه

مطينه عيشتي

يعني شكو

شلون

مو كلتلج مطينه عيشتي

مصخمه حياتي

بعد شتريديني اكول

اي فتهمت

بس شلون

والله ماعرف شكولج يا جماره

مريضه

مريضه كلش

هاي شبيك

مريضه

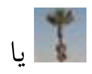
لو تسوي مشاكل

هي كل مشاكل من مرضهه

مافهمت

مريضه نفسيا

الا اكولج هيج


يا

خطيه


بس شلون

مريضه نفسيا

يعني تتوهم اشياء ما الهه وجود

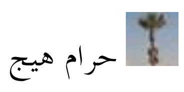
وصايره كلش خطيره

تعرفين

نوبات اخاف انام وهي كاعده

ما انام الا وره ما تنام


يا


حرام هيج

زين ولدهه شلون

بالمناسبه

شعدكم ولد

عدنه ثنين

هاني وراني

ما عدكم ببسي

~~هههههههههههه~~

مو وكتج جماره



اسفه

على كل هي تموت على اولادها

يعني الخطر بس عليه

الله يساعدك

هاي شلون عايش

بس تره ما اكدر اتصور شلون يعني مريضه

ليش ما تودوهه للمشتشفى

يا مستشفا يمعوده

هاي هيه

مريضه نفسيا

وامرنه لالله

لا تخلي بالي عواد

فهمني

يعني شنو الي ديصير

ما اعرف

تتخيل اشياء

وتحجي اشياء غريبة

لا والنوب تحجي كله سجع

سجع النوب شنو

يعني تحجي بالقافيه

هم ما فهمت

اهووووو لا تضوجيني جماره

اني بيا حال

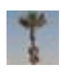
ما يخالف

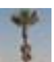
بس ليش

يعني شنو ليش

هي هيج تتصرف

لعد هو شنو المرض النفسي

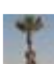

ادري بكيفك دتحجي


لو هاذا حجي طبيب

لا طبعا

وديناهه لطبيب وهو اكد النه


زين


وانطاهه دوه

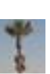
انطاهه

بس هي عنوديه

ما تقبل تاخذ الدوه

الا بالتواسيل


خطيه


ليش صار بيهه هيجي


هاي شمسويلهه

يعني شمسويله انتي الخ

والله احبهه واداريه

بس مريضه

يعني شسويله


اي ادري

بس ليش اتمرضت

حظي غير

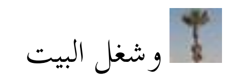
هو هاذا الي ياخذ وحده مو من ثوبه

يعني شجابني على هل بت الفكر

اكولك

شنو

اخاف ضايجه من البيت



وشغل البيت

يا شغل البيت يمعوده

هي وين لافيه بالبيت

لعد شلون

وين تولي

هي صيدلانيه

عدهه وضيفه

وصيدليه

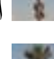
هاي شنو

اشو ما كايلي

ما اعرف

ما صارت مناسبه

افتهمت



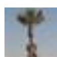
بس والله غريبه



شتريد هاذي

والله مادري يا جماره

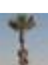
هي هم حظوظ



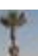
اكولك اخاف عاشكتلهه واحد

احترمي نفسج جمارة

شنو كواويد احنا



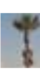
آسفه عيني لا تحنفش علينه



عل عموم الله يساعدك

اشكرج

المهم

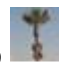


شنو

شوكة نلتقي



بكيفك

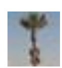


والله انقهرت عليك

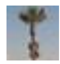
اي عفيه انقهري عليه

ليش

حته نلتقي



ههههههههههههه

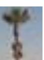


شلون نغل

هههههههههههههه

نغل ونص

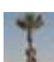
بس رحميني



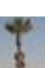
شلون يعني ارحمك

تعرفين كلش زين شلون

انتي الجريمه وئاني المحتاج



هههههههههههه



شبيك جنك ما شايف

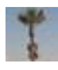
لا والله شايف

تعرفين

بقيت سنوات بالاردن

جانت احله سنوات حياتي

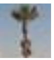
ما بقيت شي بكلبـــي ما سويته



شسويت يعني ولك

ههههههههههههههههههه

كلشي


يعني شنو كلشي

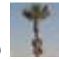
يعني من وره ومن كدام


ههههههههههههههههههه

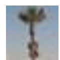
شكد ساقط انته

ساقط ابن ساقط

المهم شوكة


ابكيفك


مو انته الزلمه


هاي اذا جنت زلمه

هههههههههههههههه

لا يا كحبه



موتي يا موتي العزيز.. فكرت طويلا بكيف أصف لــك مــا مررت به طوال الأسابيع التي مضت، ولكنني لم أتوصل إلى شــيء يمكنني أن أقوله لك.. كانت حالة غريبة ليس من السهل وصفها، فقد استمر عقلي يعمل بأقصى طاقاته، وبأشــد مــا يمكنــه مــن وضوح، ولكن مَن حولي ألحوا على أنني إنما أعاني من أوهــام!.. حتى أولادي أصرّوا على ذلك.. ولكنني أعرف لِمَ فعلوا ذلــك، فقد تأثروا بمزاعم أبيهم الذي ملأ الدنيا صراخا واعتراضات.. أثّر بهم بالتأكيد وكانوا تحت تأثير خشيتهم عليّ ولذلك قالوا ما قالوه، وقد آلمني ذلك كثيرا، ولذلك رددت إليه الصاع صاعين وقلبــت حياته جحيما حتى بات يتحاشاني حين يراني.. (ابــن الكاوليــة) هذا.. أصرّ على أن أراجع الأطباء، ولكنني رفضت بعناد، ولــولا حيّان لما وافقت في النهاية.. زارني في المستشفى، وهي المرة الأولى التي يفعل فيها ذلك.. هم رفضوا في تلك الأيام أن يدعوني أزاول عملي، وطالبوني بأن آخذ اجازة للراحة، ولكنني رفضت لأنــني لم أكن بحاجة إليها، وفي ذلك اليوم كنت لوحدي في الغرفة فوجدته فجأة أمامي.. حيّان بكل فتنته وحضوره الساحر أمامي.. كنــت لأرتمي في حضنه لولا أنني أعرف أنه سيرفض ذلك، ولكن روحي (فرفحت) عندما رأيته وشعرت بسعادة بالغة.. يبدو أن زوجي قد اخبره عن أوهامه بشأني فأتى ليطمئن عليّ.. طبعا شــتمته أمامــه ولكنه لم يدعني استرسل، بل طلب مني أن أراجع طبيبا فوافقت..

وافقت من أجله فقط لكي يطمئن.. هو حيّان يا موت.. حبيبي حيّان، حتى أنني وافقت على البدء بتناول الدواء الذي وصفه لي الطبيب، رغم أنني سرعان ما توقفت لأنني على يقين من أنني لا أحتاج إلى أي دواء.

كان لؤي قد اصبح محور حياتي منذ أن تعرفت عليه.. أقصد منذ أن حدث بيننا ما حدث، وتساقطت الحدود.. في العلاقات الانسانية المشتركة، يؤثث اثنان حلما ليعيشا به سوية، ولكن هذا لم يكن متاحا لنا أنا ولؤي.. كان مستحيلا لأن دروبنا افترقت منذ البداية، ولذلك أجّرنا لنفسينا حلما.. حلما فندقيا نعيش فيه ما نسرقه من أوقات مخصصة لآخرين يرتبطون بنا.. أنا لا اشرعن ما فعلت، ولكنني لو لم أفعل ذلك لجننت.. أو لعلي كنت قد متّ.. كان إنسانا رائعا بكل معنى الكلمة، بالنسبة لي في الأقل، وقضيت معه وقتاً مذهلاً، عرّفني خلاله على كل أسرار اللذة التي كان يبلغني في كل مرة، أقصاها.. استمرت تلك العلاقة الرائعة لسنوات طوال، رغم أن لقاءاتنا تباعدت في سنواتها الأخيرة، استمرت لأنه كان ذكياً وجديراً بأن يحافظ على سريتها.. نعم ، هو من حافظ على السرية لأنني كنت جديرة بأن أكشفها بنزقي وقلة صبري.. ألم تكتشفني أمي في بداية مغامرتي الأولى؟، بالمناسبة، أنا لا أعرف إن كانت الفضيحة تتم بسبب قلة الحيلة، أم بسبب سوء الحظ.. أهي هذا أم تلك.. أم أنها مزيج من الاثنين؟!.. مهما كانت الحقيقة، فقد استمرت علاقتي بلؤي طويلا جدا، ولكن لا بد من نهاية دوما وتعرف ذلك يا صديقي لأنك سيد النهايات.

أتت النهاية فاجعة.. فاجعة بكل ما للكلمة من معنى لأنه قتل.. هكذا، وفجأة، قتل كما قتل الآلاف من العراقيين غـيره في تلـك السنوات المجنونة التي استيقظت فيهـا شـهوة الرجـال فأقـاموا مهرجانات اغتصاب.. اغتصبوا رفاهيتنـا، اغتصـبوا سـعاداتنا، اغتصبوا حياتنا.. اغتصبونا.. لا ليس ذلك الاغتصاب.. ليته كـان، ففي الأقل يمكن أن يكون فيه لحظات لذة.. كمـا أتصـور، أمـا اغتصابهم فكان بالغ القسوة.. وحشيا بامتياز.. عـذرا يـا مـوت ولكنني أفترض بأن المتحكمين بخيوط اللعبة لو كانوا نساء لما شهدنا كل ذلك الاغتصاب، لأن الاغتصاب شأن رجولي بحت لا مكان له في سيكولوجية المرأة.. على كل حال ما أقوله شيء افتراضـي ولا دليل عليه، المهم أنهم قتلوا عشيقي.. دخلوا عليـه ذات مسـاء في عيادته، وقتلوه.. اغتصبوه برصاصاتهم التي ثقبوا بها أنحاء جسـده.. مزقوه بدم بارد وغادروا تحت أنظار الآخرين المرعوبين.. من هم؟.. لا أحد يعرف فهم مجهولون دائما.. لماذا قتلوه؟.. لم يستطع أحد أن يخمن.. نفذوا المهمة بنجاح ساحق ورحلوا.. تلقيت أنا خبر مقتلـه بتجريد قاس.. بالغ القسوة.. قُتل لؤي، هكذا وصلني الخبر.. بهذه البرودة الصادمة فانهارت الدنيا من حولي، ولم أعد أعبـأ بشـيء.. تركت بيتي فورا.. تركت أولادي لأبيهم وهرعت إلى (العزه) الذي أقيم له في بيته.. في عش غرامياتنا الملتهبة فكانت الذكريات اسياخ حامية توغل في جلدي وأنا أذرف الدموع مدرارا.. لازمت سـلمى ولم أتركها لحظة واحدة طوال أسبوع.. بكيت أكثر منها، ونحـت أضعافها.. قلت لك أنني لم أكن أعبأ بشيء أيامها، ولكن المذهل هو أن هذا جعلني مضربا للأمثال في الوفاء، حتى أن أقارب الميت بدؤوا



يعزونني بالضبط كما كانوا يقدمون التعازي لسلمى لأن خيالهم المسكين لم يدعهم يخمنوا السبب الحقيقي لكل ذلك النواح.. وسلمى، أذهلها (الوفاء) الذي عبّرت عنه أيامها، ومن حينها أنا صديقتها الأولى والمفضلة!.

كان رحيل لؤي ايذانا بعودتي إلى بيتي.. أقصد إلى زوجي الذي عاد من رحلته الأخيرة إلى عمّان خالي الوفاض.. خالي الوفاض بمعنى الكلمة بعد أن خسر كل أموال العائلة في عملية خداع تعرض لها بعد أن أوهمته أطماعه أنه يستطيع أن يضاعف تلك الأموال.. ضاعت ثروة العائلة، ولولا أملاكها العقارية في بغداد لأصبحت في عداد العوائل الفقيرة.. (رجع ابن الگحبة ايد من ورة وايد من گدّام).. رجع لتصبح الصيدلية.. صيدليتي، قبلة أطماعه لأنها أمله الوحيد في أن يكون عنده الأموال التي يعبدها، لا لينفقها، بل ليشعر بوجودها فقط!.. لم أعد أتذكر الآن كيف تدبرنا أمورنا، ولكن رغم الشجارات المستمرة إلا أننا استمررنا سوية في اتفاق غير معلن.. أنا حفاظا على الوجه الاجتماعي، وهو حفاظا على مصدر الأموال التي يحتاجها.. طبعا منحني الوضع الجديد كل الحرية التي أحتاجها، ولكنني لم أحظَ بعشيق آخر بعد لؤي أبدا.. أو حتى الآن في الأقل، لا لأنني ترفعت عن ذلك، بل لأن الحظ لم يشأ.

آسفة يا موت لأنني لا أستطيع أن أستمر أكثر.. هذا كل ما عندي اليوم، ولكنني سأحدثك عن المزيد في الأيام القادمة.. سأحدثك عن رؤاي وأحلامي.. سأحدثك عن همومي وخباياي، فأنت أفضل صديق حظيت به طوال حياتي.. آه، سأحدثك أيضا عن حيان.. حبيبي الذي لن أمل يوما من الحديث عنه.

راق لها مظهرها حين دخلت عليها في الصيدلية في تلك الساعة التي يندر فيها الزبائن.. بدت لها فتاة أنيقة ببنطالها الجينز وحذائها الرياضي الأنيق.. كانت جميلة وزادها جمالا، لون (تي شيرتها) الملائم للون بشرتها جدا.. كانت تجلس وراء منضدتها، فراحت تراقبها وهي تتقدم إليها وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة رائقة، وحين توقفت، ألقت عليها تحية القريب الحبيب لا المجهول الغريب، فتملكها العجب، ولكنها ردّت بأقصى ما تستطيع من أدب مع ابتسامة صادقة كمكافأة.. انتظرت أن تعلن حاجتها، ولكن علامات التعجب ظهرت على وجه الفتاة وهي تقول:

- أرجوك يا خالة لا تقولي أنك لم تعرفيني!

لم تتعود أن يخاطبها الزبائن بهذه الطريقة، ومع ذلك ارتسمت ابتسامة حرج على شفتيها عوضا عن الاجابة بالسلب، فيما كانت الفتاة تكمل جملتها قائلة:

- كانت ابتسامتك هي النور الوحيد في الظلمة التي كنت فيها.

لم تستطع أن تفهم قصد الفتاة التي أضافت فورا:

- لقد أنقذتني.

زادها هذا القول حيرة، فقالت متلعثمة:

- هلا عرفتني بنفسك يا ابنتي!

فقالت الفتاة بصوت خافت:

- أنا شعاع.

انتبهت هي إلى أن نبرات صوت الفتاة تكاد تفصح عن الخيبة، فقالت ممازحة في محاولة للتخفيف عنها:

- وما مصدرك؟.

فضحكت الفتاة لقولها وبدا أن هذا قد ساعدها في تخطي خيبتها لأنها قالت مندفعة:

- لقد أتينا قبل مدة أنا وزوجي لشراء بعض الأدوية منك.. كنت في أسوأ حال في حينها، ولكنني لاحظت الاهتمام بي في عينيك، وكانت ابتسامتك المتعاطفة أجمل هدية حظيت بها في حلكة أيامي تلك.

قالت هديل بصوت لم تحرص على اخفاء نبرة الاستغراب فيه:

- أنت متزوجة؟!

فضحكت شعاع وقالت:

- أعرف أن ذلك لا يبدو علي، ولكن تلك هي الحقيقة.

- وكم يبلغ عمر زوجك.. سبعة عشر؟!

ضحكت الفتاة مرة أخرى وقالت:

- بل يبدو عليه وكأنه أبي.

عندها فقط استردت ذاكرتها صورة كانت مركونة في إحدى زواياها.. قالت:

- آه.. تذكرت.. تذكرت فعلا.. نعم تصورته أباك.

فبان الفرح على وجه الفتاة وقالت:

- الحمد لله.



- وهل أتيتني في طلب المزيد من الأدوية.. لا يبدو عليك أنك تحتاجينها؟!

فقالت شعاع وهي تبتسم:

- لم أعد بحاجة إليها.. أتيت لأشكرك فقط.
- تشكرينني.. علام؟!
- آه يا خالة، أنت لا تتصورين مدى الأثر الهائل الذي تركته ابتسامتك في نفسي.
- كل هذا فعلته ابتسامة؟!
- أكثر مما تتصورين.. لقد أنقذت حياتي.
- عجيب!
- لا عجب.. فقط هذا هو ما حدث.

انتبهت إلى أن الفتاة لا تزال واقفة، فطلبت منها أن تجلس، فظهر الفرح جلياً على وجهها وسارعت إلى الجلوس.. قالت هي مشجعة:

- قصّي عليّ.
- ماذا؟
- قصتك طبعا.
- آه يا سيدتي، قصتي محزنة.

فقالت وموجة حنان تجتاح نفسها:

- شاركيني بها، أنا مستعدة لسماعك.

غادرت الابتسامة، الوجه الجميل، وزحفت امارات الشرود عليه.. قالت:

- ليس عندي الكثير لأقوله.

فابتسمت لها وقالت:

- أخبريني بالقليل الذي عندك.

- لم تكن حياتي سعيدة

فضحكت هي وقالت:

- حاولي أن تخبريني بشيء جديد.

فضحكت شعاع هي الأخرى وقالت:

- (كلنا في الهوى سوى.. مو)

نظرت إليها مبتسمة وقالت:

- أتعرفين.. طوال عمري كنت أتمنى أن يكون عندي بنت لأدعوها شعاع.

بانت السعادة على محيا الفتاة وقالت:

- صحيح خالة؟

- صحيح يا عيون خالة.. لقد فاجأتني تماما حين اخبرتني أنه اسمك.

ابتسمت شعاع فيما واصلت هي قائلة:

- كنت لأربيها أحسن تربية.. كنت لأعوض فيها كل ما افتقدت له في حياتي.

- اعتبريني ابنتك

- أنت ابنتي.. ولكنني أقصد أن تكون حياة امرأة متعلقة بي.. كنت لحاربت المجتمع بأكمله من أجلها.

بان على وجه شعاع ظل من الم وقالت:

- يا ربي، لِمَ لَمْ تكوني أمي.

فشعرت بغصة حين سمعت ذلك.. تساءلت بصوت حزين:

- وأين أُمك.
- موجودة، ولكنها لم تهتم لي.
- كيف لم تهتم بك؟
- زوجتني لأول طارق.
- لِمَ؟
- للسبب إياه.. لأنه يمتلك كلمة السر.. المال.

طرقت الدموع أبواب عينيها حين سمعت ذلك، ولكن شعاع واصلت:

- كنت في الجامعة.. صحيح أنّ ظروفي هناك لم تكن سهلة، فقد كان أهلي فقراء، ولكن كان بامكاني الاستمرار، خطبني فوافقوا.
- لِمَ لَمْ ترفضي.
- رفضت، ولكن مَن يمكن أن يسمعني؟

حركت رأسها موافقة على ما قالته شعاع التي استمرت بالحديث:

- قالوا لي أنهم فرضوا عليه أن أُكمل دراستي، فوافق.

نظرت إليها وقد بانت ابتسامة حزينة على شفتيها وأكملت:

- ولكنه نكل.

فجأة رأت حيّان واقفاً في الزاوية البعيدة وهو يبتسم لها.. لم تشعر به حين دخل!.. أرادت أن تنبه شعاع التي لم تنتبه هي الأخرى إلى دخوله، ولكنها خشيت أن تسكت فقررت أن تتابعها بصمت وهي تقول:



- رغم ذلك، فقد عشت معه سنتين لا بأس بهما بعد الزواج.. ولكن يبدو أنه حتى هذا كان أكثر من استحقاقي، إذ سرعان ما بدأت الأمور تتغير.. عاد إلى سيرته الأولى، فقد ظهر أنه كان مدمن علاقات نسائية كما كان مدمن خمر.. يبدو أن دميته التي تزوجها قد ألهته عن أهوائه حتى ملّ منها، فعاد.

كانت هديل تفكر في حيّان الذي حضر ولذلك عجزت قليلا عن التواصل شعاع فيما قالته.. تساءلت فجأة:

- من الذي تزوج دمية؟!

نظرت إليها شعاع بتمعن قبل أن ترد قائلة:

- زوجي.. فقد أهملني فجأة بعد سنتين.. عرّفني على جسدي وجعلني ألهب به رجولته وإن عجزت عن استغلال جسده لمتعتي.. أنا لا أعرف لِمَ يهولون أمر الجنس في الزواج، فهو لم يكن إلا خيبة أمل متكررة.. في كل مرة تعدني البداية بشيء سحري، ولكنها سرعان ما تنتهي إلى خيبة!.. ولكنه بدا وكأنه خبير بآلة موسيقية ويعرف كيف يجعلها تصدر ما يريده من ألحان.. كنت آلته التي أطربته لبعض الوقت وفجأة أهملني، ولم يعد يبدو عليه وكأنه يشتهيني!.

شعرت بالخجل من سؤالها، فانتابها دوار وهي تحاول أن تركز مع شعاع في حديثها.. كانت تتحدث عن معاناة أغلبية العراقيات حسب رأيها.. الاهتمام، الملل، الابتعاد، الهجر، الانتظار، النوم خلال الانتظارات.. فكرت مع نفسها.. "أليس طبيعيا أن تصل المرأة عندنا إلى حدود الجنون بسبب ظروفها؟!" فاجابت فورا، نعم، فذلك أكثر

من طبيعي، وحينها انبجس سؤال من اعماق لا شعورها.. سـؤال لطالما حاولت أن لا تواجهه.. تتجاهله، ولكنه ظهر.. ماذا لـو؟!.. شعرت برعب.. رعب شديد.. أيعقل أن تكون؟!.. لِـمَ لا؟.. مـا المانع؟!.. زاد رعبها حتى إنها نسيت هزات رأسها التي كانـت بها تتابع حديث شعاع المستمر.. التفتـت إلى حيـث كـان حيّـان، مستنجدة، فإذا به قد اختفى!.. عجبت لمقدرتـه علـى التسـلل.. تساءلت "لِمَ أتى ولِمَ ذهب؟!".. أعانها سؤالها على التحرر من اللجة التي وجدت نفسها فيها.. طفت قليلا باتجاه السطح، فلاحظـت أن شعاع ساكتة وهي تتطلع إليها.. ابتسمت لها بوهن، وقالت محرجة:

- صدقيني يا شعاع، أعرف كل الذي قلتِه، وصدقيني إن قلت لك أنك ستتجاوزين كل مصاعبك في النهاية.. فقط كوني قوية.

ثم أعقبت قولها بالنهوض.. نهضت هي معها وقالت:

- أمستعجلة أنتِ؟

أشعرتها ابتسامة شعاع أنها قد نجحت في ابعـاد تهمـة عـدم الاهتمام عن نفسها.. قالت الفتاة وقد بانت على محياهـا السـعادة الحقيقية:

- أنا مسرورة جدا لأني أتيت.
- سأزورك دائما يا خالة.

فقالت من أعماق قلبها:

- أرجوك.

حين تحركت شعاع لتغادر، سارعت هي إلى الالتفاف حـول منضدتها لتحتضن شعاع وتقبلها وتقول وهي تغالب دموعها:

- سأكون لك أُماً

فقالت شعاع وهي تبادلها القبلات:

- أعرف.

رافقتها بنظراتها وهي تغادر الصيدلية بصمت.. ثم أطلقت لعبراتها العنان.



آه يا موت.. كيف يمكن للأقدار أن تتلاعب بنا هكـــذا؟.. كيف يمكن لها أن تفاجئنا مرات ومرات ومرات، فكلما تصـــورنا أننا قد عرفنا كل شيء ببلوغنا مرتبة عليا من الخـــبرة والمعرفـــة، تعيدنا أطفالا صغارا خائفين!.. أتعرف، لو أن أحداً قال لي أن لكل ما يحدث في حياتنا هدفاً، وأن لقائي بشـــعاع ســـيجعلني أعـــرف حقيقة مشاعر عواد، لضحكت عليه، فهناك الكثير من الحشـــو في تفاصيل حيواتنا.. ولكن لا.. لا حشو في التفاصيل ولكل ما يحدث مغزى.. هكذا بدأت أفكر!.. أوجعتني شعاع وهزت عالمي حـــين اخترقته.. لم أستطع أن أنتزعها من بالي منذ أن فارقتني في ذلـــك اليوم.. كيف يمكن للقدر أن يكون بهذه القسوة مع فتـــاة بهـــذه الروعة؟!.. لم أستطع أن أجد إجابة لهذا السؤال رغم إمعـــاني في التفكير فراحت معنوياتي تتدهور.. فجأة أصبحت شعاع هي المرأة في مجتمعنا فتراكمت علي هموم النساء، وهي كبيرة جداً.. كنـــت لأتحمل ذلك الضغط النفسي الهائل لو كان حيان موجودا، ولكنه اختفى فجأة!.. أين ذهب؟.. لا أعرف.. ولكن آخر مـــرة رأيتـــه فيها كانت حين تبادلي الحديث مع شعاع، ثم خرجـــت واختفـــى هو!.. شعرت بنفسي وحيدة وأنا أحاول أن أجد السبل الكفيلـــة بمساعدة هذه البائسة حتى أنني فكرت أن أفتح لها بيتي لكي أبسط عليها حمايتي، ولكنني لم أستطع أن أثبت على رأي، فكلما سعدت بحل أرتضيه، يفسد المنطق علي حلاوته وتعبث براحتي الأســـئلة..

وهكذا بقيت تائهة ما بين حلاوة الأمل ومـرارة اليـأس حـتى تدهورت صحتي وسقطت صريعة حمى ألزمتني الفراش لأيام.. لقد تجاوزت الأمر الآن، ولكن مرضي ذاك أسلمني لمفاجـأة أذهلـتني يا موت، فقد استيقظت ذات يوم من غفوة كالإغمـاءة فألفيتـه جالسا عند رأسي يبكي.. يبكي يا موت!.. ذهلـت ولم أصـدق عينيّ.. لماذا يبكي؟.. ما له ولي.. ولكنه كان يبكي بلوعة.. يبكي عليّ.. أهذا يعني أنه يحبني؟.. بدا لي لحظتها أنه يحـبني بالفعـل.. يحبني بالتأكيد، فما الذي فاتتني ملاحظته يا موت؟!.. أنا لم أضـع هذا الاحتمال يوما في بالي.. افترضت أنـه لا يحـبني فتمتعـت باحتقاره، ولكن تلك الدموع تعني أنه يحبني!.. رباه، كيف لم أنتبه لهذا الاحتمال؟!.. لقد حدثتك طوال الأشهر التي مضت، وكنت أناجيك طوال عمري، فلِمَ لَمْ تلهمني هذه الفكرة؟!.. هو يحبني!.. آه يا ربـي، ما الذي فعلته به؟.. بل ما الذي فعلته بنفسي طوال السنوات العشرين التي مضت؟!.. رأيت دموعـه بعـيني وهـي تسيل.. لم أستطع أن أمد يداً حانية لأمسحها.. بل لم أفكر حـتى بالابتسام له ولو عرفاناً لأنني تذكرت فورا، وأنا بتلك الحال، مـا فعلته به، فسالت دموعي أنا الأخرى.. سارع المسكين ليمسـحها ويقبلني ويقول لي "لا تخافي، أنا موجود".. يا للسماء!.. مم أخاف يا مسكين؟!.. أنا أبكي عليك.. طبعا لم أقلها له، بل فكرت بهـا فقط!.. أنا لم أبك لأنني خنته يا الهي، بل بكيت لأنني فعلت به ما هو أقبح من ذلك.. فعلت، وجلالك فعلت.. لقد جعلته يربـي ابن غيره!.. آه يا الهي، صعب الاعتراف بهذا، ولكنه ما حـدث.. انقطعت دورتي وأنا في غمرة لذات لا تنتهي في أحضان لؤي الذي

استثمر غياب صاحبه جيدا.. تأخرت أسبوعين أو ثلاثة فكتمت الخبر.. وهل كان يمكنني غير أن أكتمه؟!.. طبعا شعرت بالرعب، ولكن الرعب الأكبر لتجربة الإجهاض السابقة جعلني أبعد هذا، وكان يمكن لحالتي أن تسوء أكثر لولا أن عوّاد رجع فجأة معلناً هزيمته المالية الكبرى وقراره أن يبقى في البيت ليلعق جرحه.. أخبرته يومها أنه في برج سعده لأن دورتي انتهت قبل أسبوع وأنني كنت أنتظره بلهفة ما بعدها لهفة، فصدقني المسكين لأنه أحال تصريحي إلى رغبتي في التخفيف عنه ولم يقصّر في ليلتها منهيا بذلك رعبي ولم يعرف أحد ما اقترفته.. حتى لؤي نفسه لم يعرف.. تصور مدى غبائي!.. ماذا لو شابه لؤي؟!.. ألا يحدث ذلك؟!.. ولكنني راهنت على جيناتي.. أمرتها أن تكون الغالبة وأن تنحي جينات لؤي الأب.. ناشدت كروموسوماتي أن تساعدني، فلم تخذلني!.. يا للجحيم، لِمَ لَمْ أتجاوز رعبي من الإجهاض وأقرر.. كان لؤي ليساعدني لو أخبرته، ولكن الرغبة بالهزء به.. بعواد.. بل الانتقام منه، جعلتني أركب ذلك المركب الخطر.. الغبي.. بالغ الغباء.. ومن السخرية أن ابني ولد يشبهني كثيرا وكأنك يا ربي قد شئت أن تتآمر معي!.. ولكن ذلك لم يساعدني كثيرا فيما بعد لأن الخشية من انكشاف الأمر ظلت تلازمني حتى الآن.. أنت تعرف أن الحوادث تحدث أحيانا وأن تقدم العلم يجعل من أمر كشف عدم أبوته لولدي سهلاً.. آه يا ربي، كيف فعلت ذلك؟.. ولكن، لِمَ لَمْ يكلف هو نفسه أن يخبرني كم يحبني؟.. أم أنه لم يحبني إلا مؤخراً؟.. ولكن لِمَ يحبني؟! وأنا لم أكن له حبيبة يوما ما.. أنا لا أعرف يا ربي، ولكنه يحبني الآن! آه يا الهي لو



تعرف ما أحدثه بـــي هذا الاكتشاف.. لقد قلب كياني وما عدت أعرف كيف أفكر.. كنت أحسن حالا وأنا مؤمنه بكراهيته.. أما الآن فلا أعرف كيف أفكر.. أو أتصرف!.. لطالمــا تمنيــت لــو أمسكته يوما بالجرم المشهود.. أن أشــهد بنفســي خيانتــه لي.. تصور!.. خيانته لي!.. يا لسخرية الفكرة!.. المهم، راقبته كــثيراً، ولكن مستحيل.. لم استطع يوماً أن أثبت عليه شيئا.. حتى عنــدما كنت أهاجمه، وأكيل له شتى الاتهامات، كنــت في أعمــاقي أدرك مدى بعدي عن المنطق في موقفي ذاك.. كنت أشعر بمدى سخافتي ولكن لم يكن لي دربا آخر.. أكون في حينها مستاءة جدا لأنني لا أمتلك شيئا ضده يبرر لي ما فعلته به.. كنت أتوسل به في سري أن يقيم علاقة ما مع أية امرأة يشتهيها.. فقط لأنقذ نفسي! ولكنــه كان بريئا في هذا الجانب إلى حد اللعنة ومع ذلك.. لم أحسبها لــه يوما!.

حسنا يا الهي.. هذه هي أنا، ولنفترض أنني أســتحق كــل العقوبات التي ستفرضــها علــي.. ســأتقبلها.. وهــل لي إلا أن أتقبلها؟!.. ولكن ما ذنب شعاع؟!.. كيف يمكنك أن ترتضي كل ما تعرضت إليه من ظلم؟!.. أنت الحق المطلق، فكيف تريــدنا أن نفهم هذا؟!.. نعم، نحن لا نستطيع أن نفهم حدود حكمتك.. بل يجب أن لا نفهم لأننا محدودين بمنطقنا البشري نحن، ولكن لا بــد من إشارة.. نقطة ضوء.. أمل.. كيف تريد مني أن أفهــم كــل هذا.. وأن أتقبل؟!.

لا.. لا.. مستحيل!.. أيمكن أن يكون هذا هو الجواب؟.. لا أعرف!، ولكنه يبدو لي منطقيا فجأة.. الموت ليس نهاية!.. أهذا ما

تريد أن توحيه لي يا ربـــي؟!.. لا أريد أن أخفيك، هو لا يبدو لي منطقياً الآن، ولكن لا تفسير غيره!.. أنا احبك كثيرا يـــا إلهـــي ولذلك لا بد من إجابة، وهذه الإجابة ترضيني.. يجب أن لا يكون الموت نهاية لكي يتسنى لعدلك أن يأخذ مداه، لأن معظم النســـاء يرحلن وهن مظلومات، فمتى يتحقق العدل لهن؟!.. أنت لا يمكن أن تكون ظالماً لأنك الإله، ولكن ما يحدث ظلم أكيد، فهل مـــن المعقول أن ترتضي به؟!.. لا، يجب أن يكون الموت مجرد مفتـــرق طرق وأنا لا يمكن أن أجد تفسيراً غير هذا.. أعنّي يا ربـــي.. هل الموت مكمل للحياة؟!.. أهو الوجه الآخر لها؟!.. أي أن الحيـــاة تكتمل بالموت! آه يا ربـــي، هذا صعب التخيل، ولكنه التفســـير الممكن الوحيد ولذلك سأرتضي به.. في الوقت الحاضر في الأقـــل لكي لا أجن.. شكراً يا ربـــي لأنك لم تتركني لوحدي.. شـــكرا يا ربـــي لأنك جعلتني في النهاية أفهم.

From: wrecked_heart@yahoo.com

To: humam812@yahoo.com

عزيزي همام.. أعرف أنك لا تتوقع أن تتلقى مني هذا الايميل بعد كل الأشهر التي اختفيت أنا خلالها، وبعد أن لامس اليأس روحك بكل تأكيد، ولكنني كنت مضطرة، أو بالأحرى حائرة إذ لم أعرف كيف أشرح لك كل شيء بعد أن فقدت ثقتي بنفسي التي منحتني إياها الرغبة بالانتقام، بسببك.. آه يبدو أنني سأعاني كثيرا من أجل توضيح الصورة لك تماما، ولكن أرجوك تقبل أولا أسفي للغموض الذي واجهك وأنت تريد أن تعرف ما حدث.. أو أين اختفيتُ، ولماذا؟.. أنا لم أشأ تعذيبك، ولذلك سأشرح لك كل شيء بايميلي هذا وأعود للإختفاء، إلى الأبد هذه المرة وأرجوك، لا تحاول البحث عني.

إن شئت، فأنا أستطيع أن أوجز الأمر لك بهذه الجملة.. "أنا أتيت إلى بغداد عاهرة تملأها الرغبة بالانتقام، وعدت منها عاشقة!".. ولكنني أعرف أن هذا لن يكون كافياً.. بل لعله سيزيد الغموض، ولذلك سأعود إلى البداية، بداية تعرفي عليك، ولكن اسمح لي بأن أتفادى ذكر بعض التفاصيل لأن الشرح سيطول كثيرا في هذه الحالة.. أنا فقط أرجوك أن تمنحني ثقتك وأن تؤمن بأنني صادقة في كل ما سأقول.

أنت تعرف بأن بداية علاقتنا كانت عن طريق الفيسبوك بعد أن أرسلت لي طلب صداقة لوجود أصدقاء مشتركين بيننا.. في حينها

وافقت فورا على الطلب.. وليتني لم أفعل.. على كل حال، ما حدث قد حدث ولن يفيدنا الندم الآن.. كنت صادقة معك في البدء فعاملتك كأي صديق فسيبوكي محترم خاصة وأني كنت أعجب دائما بتعليقاتك اللطيفة التي تنم عن عقل متفتح وشخصية متوازنة.. كنت أفرح حين تعلق على منشوراتي، واسارع إلى الرد عليها، وكان هذا أقصى حدود علاقتي بك، ولكن كل شيء تغير بسبب صورة نشرتها أنت ذات يوم.. صورة هزّت كياني وأيقظت شياطين الغضب وشهوة الانتقام في داخلي.. طبعا لم تكن أنت المعني بالانتقام، بل الشخص الذي كان معك في الصورة.. دريد اللعين الذي قلت عنه في تعليقك على الصورة أنه الأمل المرتجى في العراق الجديد!.. أنا أعرف الآن أنك كنت تؤدي واجبك وأنت تسعى لخوض الانتخابات النيابية معه، ولكنني لن أفهم يوما كيف يربط شخص مثلك مصيره بشخص مثله؟!.. طبعا أنت لا تعرف عنه شيئاً، ولكن شخصاً بذكائك كان الأجدر به أن يحدس.. أم أنك حدست ولكن أطماعك منعتك من الانصياع؟.. على كل حال أنا لست هنا لأحاسبك، بل سأتركك لضميرك، أنا أريد أن أقول ما عندي وأمضي.

دريدك هذا كان زوجا لي.. أو لعلي ما زلت على ذمته، لا أعرف، ولا يهمني، لأنني تركته وهربت.. تركت له العراق بأكمله وهاجرت ولك أن تتصور ما فعله بي لأقرر ذلك!.. حينما نشرت الصورة، لم أسألك، لأن كل شيء بدا لي واضحا.. كنتم تتهيؤون لخوض الانتخابات مستفيدين من حقيقة سجنه إبّان زمن النظام السابق.. هل كنتم سعداء لأنكم تقدمون للشعب واحدا من مناضليه

السياسيين؟!.. آه لو كنت أعرف سبب سجنه بالضبط لأخبرتـــك، ولكنني لم أكن موجودة لأعرف، أنا فقط أستطيع أن أضمن لك أن السبب لا يتعدى في كل الأحوال الاختلاس أو السرقة أو أية جنحة أخرى مخلة بالشرف، أنا لا أعرف، ويمكنك أنت أن تسأله عن شرفه لأنني أعرف بالضبط مفهومه عن الشرف!.

أقنعت نفسي طوال سنوات أنه قد مات، ولذلك عشت حياتي من بعده بهدوء رغم أن ندوب جروحه التي سببها لي بقيت واضحة أمامي بسبب الغربة التي فرضها علي، و لم أكن راغبة بهـــا.. مـــات، ولكن صورتك تلك أعادته إلى حياتي بقسوة فعوت في داخلي الرغبة بالانتقام.. بذرت البذرة، وما كان عليّ إلا أن أنتظر فعـــل الأيـــام لتنضج الأفكار، وبالفعل نضجت بطريقتها العصـــية علـــى الفهـــم والشرح، المهم هو أنها اكتملت بعد أن قررت أن أفجره بنفسي كما يفعل أولئك الممسوسين الذين يفجرون الناس بأجسادهم.. في الأقل هو مذنب ومستحق للتفجير وليس مثل اولئك الأبرياء الذين تتمزق أجسادهم من دون ذنب اقترفوه.. لا تخف، فأنا لم أفكـــر بتفخـــيخ نفسي، بل فكرت أن تكون أنت وسيلتي لأفضحه.. أن أفضح نفسي لأفضحه.. أن أمنحك عفافي الذي لم أفرط به رغم مرور الســـنوات لتفضحه به، فأنا في النهاية زوجته، أما لماذا فكرت بهـــذه الطريقـــة، فصدقني أنه سيفهم!.. فقط أعرض عليه الصور التي التقطتها والأفلام التي صورتها ونحن ننعم برحيق لذاتنا، سيفهم.. وحق كل شـــروره ودناءاته، سيفهم، فقط أره إياها، أو حتى انشرها علـــى الانترنيـــت ليعرف الجميع مدى هوان هذا القميء الذي تخونه زوجتـــه علنـــا.. أنشرها فأنا لن يهمني لأنني لن أعود إلى العراق أبدا، فعـــذراء الـــتي

يعرفوها قد ماتت في اللحظة التي استلمت فيها جوازها المزور بالاسم المزيف الذي غادرت به العراق.. أنت تعرفني باسم فاتن، واسمي الحقيقي عذراء، ولكن اسمي هنا في غربتي لا يعرفه أحد أبداً، ولذلك لن يهمني ما سيحدث حين يرى الجميع ما فعلناه سوية.

يا للسخرية!.. توهمت أنني سأفضحه لأنني كنت أفكر وفق المعايير الغربية، ولكنني اكتشفت حين كنت في العراق أنني لم أكن لأنال غرضي لأن أحدا لن يهتم.. سيتابعون الأفلام ويتمعنون جيدا في الصور، سيضحكون عليه ويتشفون به، ولكنهم حين يلقونه سيستقبلونه بكل الاحترام الواجب الذي تفرضه عليهم أطماعهم!.. وسينتخبونه في النهاية!.. أما عنه، فتأكد من أنه لن يهتزّ، بل لعله سيضحك على سخافتي ويمضي نحو هدفه.. ورغم ذلك كنت قد أتممت خطتي، وكنت واثقة من نجاحها فالأمر بسيط جدا، أفضح نفسي لأفضحه، ولكنك أحبطت مخططي بالكامل.. يا لله! لِمَ كان عليك أن تكون على هذا القدر من الطيبة والنقاء؟.. حين بدأت معك، أسعدتني جدا سرعة إنزياح غلالة العفة عنك.. تصورت أنني قد كشفتك على حقيقتك متناسية أن الرجل العراقي الطبيعي ليس مؤهلاً أساساً لمقاومة أي إغراء أنثوي.. حسبتها ضدك، ولكنني ما أن رأيتك، وعرفتك بشكل أفضل حتى أدركت مدى خطأ ظني.. لِمَ لَمْ تكن كما توقعتك فحرمتني من لذة الشعور بالانتقام؟!.. لِمَ خيبت أملي وأنا الانتحارية التي قطعت المسافات لتنتقم من قاتلها؟!.

يا للمسكينة أمي.. (جرجرتها) معي وهي لا تعرف ما أنا مزمعة عليه.. حين استقلينا الطائرة المتوجهة إلى بغداد، كنت أشعر بالضبط كما العاهرة الذاهبة إلى موعدها مع زبون، ولكنني تحاملت على

نفسي وأتيت، ولذلك أحببتك أكثر لأنك جعلتني أحبـــك قبـــل أن أمنحك نفسي.. من المحتمل أن لا تفهم هذا، ولكنه يفرق كثيرا عند الأنثى لأن الجنس بالنسبة لها مسألة تفاعلات وليس مجرد ميكانيـــك كما يحدث معكم أنتم معشر الرجال.. شكرا لأنك جعلتني أمنحك نفسي حباً فأعدتني عاشقة إلى هنا بعد أن دفنت العـــاهرة هنـــاك في بغداد.. آه يا همام، بدأ الكلام في الموضوع يؤلمني جداً لأنـــه ملـــيء بالمشاعر المتناقضة، ولذلك اسمح لي أن أتوقف.

هذه آخر كلماتي لك، وكما قلت.. لا تحاول أن تبحث عني.

وداعا يا حبيبـــي.

آه يا موت.. يا موتي العزيز.. ترى، إلى أين ذهب؟!.. كيف يمكن أن يختفي هكذا من دون أي أثر؟!.. اختفى وكأنه لم يكن أساساً.. إلى أين ذهب.. وكيف يمكنه أن يتركني.. لا، فمثله لا يترك أحبته.. فماذا حدث؟!.. هل اغتالته عبوة هو الآخر، أم مسّه هوى المفخخات المكنون للعراقيين؟!.. ولكن لا، فحدسي يقول أنه موجود، فقط هو لا يأتي ليراني.. ولكن لِمَ لا يأتي.. لِمَ لا يفكر بي.. ولكن، لِمَ يجب أن يفكر بي؟ فهو لم يصارحني بحبه.. بل هو رفض كل محاولاتي لفرض الحب عليه.. آه يا موت، يبدو أني لم استوعب حدود هذا الرجل، ولكنه هو الذي لا يُستوعب.. بدا لي طوال الوقت منيعا على الإمساك.. غير قابل للمس.. ومع ذلك هو عارم الحنان وبالغ اللطافة إلى درجة تكاد تجعله غير حقيقي.. ولكنه حقيقي.. حقيقي جداً.. أهو كذلك؟!.. لم أعد أعرف، فقد سألت زوجي عنه بعد أن لم يبق أمامي ما يمكن ان أفعله للبحث عنه.. بذلت أقصى جهدي لأجعل الأمر يبدو عفوياً، وسألته، أتعرف ماذا حدث.. لقد أنكر معرفته به.. أنكره نهائيا فأثار غضبي.. من يتصورني هذا المخلوق.. يأتي به إلى الصيدلية فأعرفه، وبعد ذلك ينكر معرفته به.. أيريد أن يتلاعب بي.. ولكني ردعته، فقد أغلظت له بالقول وأسمعته ما لم يسمعه مني من قبل، فقد أعصابه وحاول أن يضربني، ولكنه تراجع وخرج غاضباً ليتركني لوحدي مع حيرتي.. أتعرف؟ لقد أنكر معرفته وأقسم وهو

في سورة غضبه أنه لا يعرف أحداً بهذا الاسم، وقد بدا لي صادقاً ولكن، كيف عساي أن أفسر الأمر، أنا لا أستطيع، ومن أسأل وأنا لم أحدث غيرك عنه.. ما معنى كل هذا يا موت.. أيعقل أني قد جننت؟! أقسم لك أنه قد أتى معه في المرة الأولى وسبق لي أن حدثتك عن ذلك.. أنا متأكدة.. نعم، صحيح أني لم أرهما بعد ذلك وهما معاً، ولكنهما كانا معاً في المرة الأولى.. هل فقدت عقلي، أم أن ذاكرتي قد أدركها الخرف؟.. مستحيل، أنا لم أخرّف بعد.. ولكن هذا هو حال المخرّف، لا يعرف أن الخرف قد أدركه إلا بعد فوات الأوان.. أو لعله لا يدرك ذلك أبداً.. أهذا معقول؟! أهناك شيء يفوتني.. أرجوك يا موت أخبرني، هل بدأت أفقد ذاكرتي، أم أنه فقدان كامل للعقل؟!

لدي الكثير ما أريد أن أكلمك عنه.. الكثير جداً، ولكنني مضطرة للتوقف لأنني يجب أن اذهب للصيدلية الآن.. أولا لأنه واجبي.. وثانيا لعله يعطف علي، ويظهر!.

كانت تتحدث مع الزبون عندما رأته واقفاً أمام الصـــيدلية في الجانب الآخر من الشارع وهو يبتسم لها بطريقته المحببة.. لم تتــردد، بل تركت الرجل لحيرته ودهشته، وهرعت إليه.. كـــادت ســـيارة مسرعة أن تدهسها وهي تعبر الشارع، ولكنها لم تهتم.. كما لم تهتم لكل أولئك الناس في الشارع فاحتضنته بلهفة حين أصبح في متناول يديها.. قالت وهي تغالب دموعها المتحفزة:

- أين كنت طوال الوقت الذي مضى؟!

منحها ابتسامة بدت لها بالغة الرقة، وهو يقول:

- كنت موجوداً.

إرتفع صوتها وهي تقول غير مبالية بالآخرين:

- موجود؟!.. لكن أين؟

فقال:

- أقرب مما تتصورين بكثير.

نظرت إليه غير مصدقة وقالت:

- قريب؟! ولكن لماذا؟

أصر هو على هدوئه قائلا:

- أراقبك.

فقالت بصوت شابه إنفعال واضح:

- تراقبني؟! ولكن لماذا.. هل بدأت تعمل لمصلحة مخـــابرات ما، أنت الآخر؟!



ابتسم لها وهو يتهيأ للرد، ولكنها استرسلت قائلة:

- ولكن لا بأس إذ لم يعد الأمر غريباً هذه الأيـــام.. فقـــط طمئنني لأية مخابرات تعمل.. لمخابرات جزر سيشـــل أم جزر القمر.. هيا لقد أصبحنا قبلة مخابرات دول العـــالم، ولكن في الأقل قل لي أنك تعمل لصالح مخـــابرات دولـــة مهمة.

ضحك بصوت مسموع ولكنه لم يحاول أن يقول شيئا، فقالت متابعة:

- أرجوك أخبرني أين كنت.. لقد قلقت عليك كثيراً.

فقال على الفور:

- لا تقلقي علي.. لا يمكن للسوء أن يصيبني.

فضحكت بعصبية واضحة وقالت:

- هل حصلت على إذن خاص من الموت من دون العراقيين لتكون في مأمن مما قد يصيبهم من سوء؟!

لم يجبها بشيء هذه المرة بل اتسعت ابتسامته فقط.. قالت:

- لقد قلقت عليك كثيراً.

قال بهدوء:

- لقد عرفنا هذا، فماذا بعد.

نظرت إليه بغضب وقالت:

- يبدو أني كنت مخطئة.. لن أقلق عليك مرة أخرى.

لم يجبها هذه المرة على الفور، بل حـــدق في وجههـــا لثـــوان معدودات قبل أن يقول بأقصى ما استطاعه من هدوء:

- لن تكون هناك مرة أخرى.

لم يبدُ عليها أنها فهمت ما قصد، ولكن عينيها اتسعتا دهشة وهي تقول مستطلعة:

- ماذا تقصد؟!

فأجابها بنفس الهدوء، وأكثر:

- لا بأس.. ستعرفين.

أرادت أن تقول شيئا، ولكنه قاطعها قائلا:

- اكتشفت الحقيقة إذاً في النهاية؟.

مرة أخرى عجزت عن الفهم رغم أنها تمعنت جيداً في ملامحه المحايدة.. تساءلت:

- أية حقيقة؟!

فقال وقد رجعت ابتسامته إلى شفتيه:

- أقصد حقيقة أن الحياة لا تكتمل إلا بالموت.

في أعماقها ولدت (مستحيل) فورية، ولكنها عجزت عن نطقها لأنها شكّت أن سمعها قد خانها، أو أنها لم تستطع أن تستوعب مدلولات كلماته جيداً.. قالت:

- لم أفهم.

اتسعت ابتسامته وهو يقول محاولا طمأنتها:

- بل تفهمين جيداً.

ثم ركّز نظراته في عينيها اللتين تحدقان به بدهشة عارمة.. قالت هي من دون شعور:

- ولكن هذا مستحيل.

فهز برأسه برفق وقال:

- لا ليس مستحيلاً، بل هي الحقيقة.

تساءلت وقد بدأ الخوف منه يتسرب إليها:

- ولكن من أين لك أن تعرف بهذا؟

قال:

- منك طبعاً.

فصاحت على الفور:

- كذب.. أنا لم أحدث أحداً عن هذا.

ابتسم بتفهم واضح وهو يقول:

- بل أخبرتني به.. أما كنت تكتبي لي طوال الوقت الذي مضى؟

ما بين الشك بقدرتها على السمع الصحيح، والخوف الذي بدأ يجتاح كيانها، وهي تستوعب بالكاد ما تسمع، قالت بصوت مرتجف:

- ولكن هذا يعني أنك..

لم يدعها تكمل، بل قال مقاطعاً:

- نعم هو أنا.

صدمها رعب هائل، ساحقا أعصاب ساقيها اللتين عجزتا عن حملها.. سارع هو ليمسك بها من تحت ابطها ويسندها.. قال بصوت إلى الهمس هو أقرب:

- أرجوك عزيزتي، لا تصعبي الأمر عليّ.

اقتحم الحنان المتسرب من صوته غيبوبتها الجزئية، فبدأت تسترد بقية حواسها، ولكنه استمر بهمسه الرحيم قائلا:

- صدقيني هي الحقيقة العظمى.. الموت هو مكمل الحياة.. من دونه لن تكتمل الدورة.

لم تنبس هي ببنت شفة، فقال وهو يركزّ على كـــل حـــرف ينطقه:

- هو الحينُ يا هديل.

فقالت وشبح ابتسامة تهكم يتراقص على زاوية فمها:

- أي حين يا حيّان؟

لم يجب هو هذه المرة، ولكنها لم تلجّ بالسؤال، بـــل اكتفـــت بإغماض عينيها.

حين فتحت عينيها بعد أجزاء من الثانية، كانت قد اســـتردت وعيها كاملا.. بل شعرت وكان وعياً جديداً قد أمتلكهـــا.. وعيـــاً حاداً جعلها تنظر إلى الأمور بطريقة أخـــرى.. تطلعـــت في عينيـــه القريبتين، فشعرت أنها تحبه.. تحبه كثيراً.. تسربت فلول الرعب مـــن نفسها، تخلصت من ذراعيه.. كان هو يراقبها بحـــذر وقـــد علـــت ابتسامة مشجعة شفتيه، استطاعت بعد قليل أن تبادله الابتسامة قبـــل أن تقول:

- على كل حال، لم تكن حياة تستحق أن نأسى من أجلها.

أومأ براسه موافقاً، فمنحها ذلك المزيد من الإرتياح لولا أنهـــا تذكرت أولادها، فجزعت.. غامت عينيها، فقال بأقصى ما يستطيعه من رقة:

- صدقيني أنهم سيكونون بخير.. سيعيشونها بالضبط كمـــا يجدر بهم أن يعيشوها.. لا زيادة ولا نقصان.

شعرت فوراً أنه يقول الصدق، لم تشأ أن تناقشه أو أن تستفسر عن شيء بعدما أيقنت أن لا فرار.. أجبرت نفسها ان تتقبل الأمـــر، فتبدلت حالتها النفسية مرة أخرى.. انتبهت إلى أنهما كانا ما يزالان



واقفين على الرصيف، قالت:

- لنذهب إلى الصيدلية.

فابتسم لها الابتسامة التي لم تر مثيلا لها في حياتها وقال:

- لا يا صديقتي.. لن.. نرجع.

فهمت قصده على الفور، ومع ذلك تساءلت:

- هنا؟!

قال لها وهو يشير بيده الممدودة:

- سيري معي حتى نهاية الشارع.

وافقت فورا بإيماءة من رأسها، فأضاف:

- أو ربما أبعد بقليل.


مكتبة
الفكر
الجديد



سعد سعيد

▪ روائي من العراق.

ssr2981957@yahoo.com

▪ صدر له أيضاً:



(**هسيس اليمام**) رحلة حياة، يأخذنا عبرها سعد سعيد الى عوالم طالما غلفها الغموض والسرية، عوالم خمس نساء تتصارع فيها الرغبات مع القيود الاجتماعية والاخلاقية والدينية، رحلة يتنصت فيها القارئ لصوت هسيس النار المتأججة في اجساد خمس يمامات يتناهبهن سعير الرغبة ويقيدهن واقع حياتهن وما يفرضه عليهن من التزامات.

مغامرة جريئة رصدت المخفي من جبل جليد حيوات خمس نساء عراقيات، عبر رحلة تكشف تداخل خيوط حياتهن ومصائرهن وتصوره لنا كاشفة المسكوت عنه في حياة المرأة في مجتمعاتنا.

خمس يمامات هن بطلات العمل وتكتمل الحكاية مع ظل رجل يلوح هنا او يغيب هناك ليؤدي دوره في ادامة اضطرام الاحتراق.

صادق الطائي

لوحة الغلاف للفنان العراقي عاصم فرمان

منشورات ضفاف
DIFAF PUBLISHING
editions.difaf@gmail.com




ISBN: 978-614-02-1295-4
9 786140 212954